المواعظ الشافية
شرح
الأنوار الهادية
إلى
الجنة الشامخة العالية

تأليف

الإمام الهادي الحسن بن يحيي القاسمي
رحم الله مثواه
(ت:١٣٤٣هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، اللهم وصل وسلم على خاتم النبيئين، وعلى عترته المتقين.

تَخَلَّقْ بأخلاق المؤمنين، واتَّصِفْ بأوصاف المتقين والمجتبين، والْزَمْ آداب ربِّ العالمين، وما وصف به عباده الصالحين، وما ندب وأمر به في الذكر المبين، انْتَهِ عمَّا نهى عنه؛ تَفُزْ مع الفائزين في جوار ربِّ العالمين، وخذ الجميع من الكتاب المنزل على خاتم النبيئين، وفيه -إن سمعت ووعيت ولو ما[1] سرده الآن- شفاء من الداء العظيم، فلازم تلاوة ذلك بتفكر وتدبر تفزْ - إن شاء الله - بالثواب الجسيم.

هذا؛ واقتبسْ رحمك الله مما تيسر لي من قول النبي والوصي صلى الله عليهما وعلى آلهما، [استطرادا لشرح هذه الأنوار تنجُ إن شاء الله من الأخطار] وما نقلته عنهما فهو من مجموع زيد بن علي، ونهج البلاغة، وأحكام الهادي، وتيسير المطالب في أمالي أبي طالب وهو الغالب.

وإذا سنح لي أن أذكر خبراً من غير هذه الكتب ذكرت الكتاب الذي نقلته منه إن شاء الله، وبالله الثقة والعون، وسميت هذه: بـ (المواعظ الشافية شرح الأنوار الهادية إلى الجنة الشامخة العالية).

قال عليه السلام: وأنا مستمد ممن اطلع على هذا؛ الدعاء لي بحسن الخاتمة والتسديد والتوفيق إن كنتُ حَيّاً، وبالعفو والمغفرة إن كنتُ ميتاً.

وأسأل الله العظيم أن يكافئ من دعا لي بأضعاف ما دعا.

(١) (ما) موصولة بمعنى الذي، وقوله: إن سمعت ووعيت، جملة معترضة، تمت، هامش نسخة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ٣-٥].

معنى ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ يصدقون. و ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾: بما غاب عنهم، نحو الصانع تعالى، والبعث والجنة والنار، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يؤدونها بحقوقها، و ﴿يُنفِقُونَ﴾: أي في طاعة الله، و ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ الكتب التي أنزلت على الأنبياء، و ﴿يُوقِنُونَ﴾ يعلمون.

فحكم الله لمن اتصف بهذه الصفات بالفلاح، وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار، وهذه البغية ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وتدل الآية على عظم الصلاة والإنفاق، لذا قرنهما بالإيمان بما ذكر.

[في الصلاة]

وعنه ﷺ: ((حَافِظُوا عَلَى الصَلَوَاتِ الْخَمْسِ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَدْعُو بِالْعَبْدِ، فَأَوَّلُ مَا يَسْأَلُهُ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنْ جَاءَ بِهَا تَامَّةً وَإِلَّا زُجَّ فِي النَّارِ)) [تيسير المطالب ٣٠٧ - صحيفة علي بن موسى الرضا].

وعنه ﷺ: ((مَنْ أَحْسَنَ صَلَاتَهُ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ وَأَسَاءَهَا حَيْثُ يَخْلُو فَتِلْكَ اسْتِهَانَةٌ يَسْتَهِينُ بِهَا رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)) [تيسير المطالب ٢٩٨- كتاب الذكر].

وعنه ﷺ: ((مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ؛ لَمْ يَزْدَدْ بِهَا مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْداً)) [أمالي أحمد بن عيسى - تيسير المطالب ٣٠١].

وقال ﷺ لأنس: ((صَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ تَرَى أَنَّكَ لَا تُصَلِّي بَعْدَهَا أَبَداً، وَاضْرِبْ بِبَصَرِكَ مَوْضِعَ سُجُودِكَ حَتَّى لَا تَعْرِفَ مَنْ عَنْ يَمِينِكَ وَلَا مَنْ عَنْ يَسَارِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ يَرَاكَ وَلَا تَرَاهُ)) [تيسير المطالب ٣٠٢].

وعنه ﷺ: ((تَرْكُ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا كُفْرٌ)) [مسند الإمام زيد ٨٣ - أمالي أحمد بن عيسى - البساط].

وعن علي عليه السلام أنه سأله رجل: مَا إِفْرَاُط الصَّلَاةِ؟ قَالَ: (إِذَا دَخَلَ وَقْتُ الَّذِي بَعْدَهَا) [مسند الإمام زيد ٨٣].

وعنه ﷺ: ((الصَّلَاةُ قُرْبَانُ الْمُؤْمِنِ)) [تيسير المطالب ٣١٦ -...].

وقال ﷺ: ((أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُكَفِّرُ اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَزِيدُ فِي الْحَسَنَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ)) [تيسير المطالب ٣٠٦ - أمالي أحمد بن عيسى - ومثله في الأحكام ٤٢/١ - أصول الأحكام ١٨٦/١]

وعن علي عليه السلام: (صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ عِنْدَ الزَّوَالِ قَبْلَ الظُّهْرِ) [مسند الإمام زيد ٩٩].

وقال ﷺ: ((التَّهَجُّدُ هُوَ نُورٌ تُنَوِّرُ بِهِ بَيْتَكَ)) [مسند الإمام زيد ١٠٠].

وعن علي عليه السلام: (رَكْعَتَانِ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَخِيرِ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) [مسند الإمام زيد ١٠١].

وعن علي عليه السلام: (مَنْ صَلَى مِنَ اللَّيْلِ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ فَتَحَ اللهُ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ) [مسند الإمام زيد ١٠١].

وعن علي عليه السلام: (إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا) [نهج البلاغة - باب حكم أمير المؤمنين].

وعن علي عليه السلام: (لَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ) [نهج البلاغة - باب حكم أمير المؤمنين].

وعن علي عليه السلام: (فَرَضَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ) [نهج البلاغة - باب حكم أمير المؤمنين].

[في الزكاة والصدقة]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِذَا أَدَّيْتَ زَكَاةَ مَالِكَ فَقَدْ أَذْهَبْتَ عَنْكَ شَرَّهُ)) [تيسير المطالب ٣٥٨].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنَّ اللهَ فَرَضَ لِلْفَقِيرِ فِي مَالِ الْغَنِيِّ فِي كُلِّ مِائَتَيْنِ خَمْسَةٌ، فَمَنْ مَنَعَهُمْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)) [تيسير المطالب ٣٦٠].

وعن علي عليه السلام: (الْمَاعُونُ: الزَّكَاةُ) [مسند الإمام زيد ١٤٢ - أمالي أحمد بن عيسى].

وقال علي عليه السلام: (إِنَّ اللهَ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَنْعِ[1] غَنِيٍّ، وَاللهُ تَعَالَى جَدُّهُ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ) [نهج البلاغة - باب حكم أمير المؤمنين].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَإِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، فَإِذَا تَصَدَّقَ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فَلْيُخْفِهَا عَنْ شِمَالِهِ، فَإِنَّهَا تَقَعُ بِيَمِينِ الرَّبِّ، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ حَتَّى تَصِيرَ اللُّقْمَةُ مِثْلَ أُحُدٍ)) [مسند الإمام زيد ١٤١ - أمالي أحمد بن عيسى].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَا مِنْ صَدَقَةٍ أَعْظَمُ أَجْراً عِنْدَ اللهِ مِنْ صَدَقَةٍ عَلَى ذِي رَحِمٍ أَوْ أَخٍ مُسْلِمٍ)) قَالُوا: وَكَيْفَ الصَّدَقَةُ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: ((صِلَاتُكُمْ إِيَّاهُمْ بِمَنْزِلَةِ الصَّدَقَةِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)) [مسند الإمام زيد ١٤٠ - أمالي أحمد بن عيسى].

---

(١) في الديباج: (إِلَّا بِمَا مَنَعَ غَنِيٌّ)، وفي النهج: إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، تمت.

وعن علي عليه السلام: لَأَنْ[1] اشْتَرِيَ بِدِرْهَمٍ صَاعاً مِنْ طَعَامٍ فَأَجْمَعَ عَلَيْهِ نَفَراً مِنْ إِخْوَانِي الْمُؤْمِنِينَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْرُجَ إِلَى سُوقِكِمْ هَذَا فَأَشْتَرِيَ بِهِ رَقَبَةً فَأَعْتِقَهَا) [مسند الإمام زيد ١٤٠].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((تَصَدَّقُوا فَإِنَّ الصَّدَقَةَ فَكَاكُكُمْ مِنَ النَّارِ)) [تيسير المطالب٣٦١].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((بَادِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَنْحَطُّ إِلَيْهَا)) [تيسير المطالب٣٦٢].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لِكُلِّ شَيءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الدَّارِ بَيْتُ الضِّيَافَةِ)) [تيسير المطالب٣٦٢].

وقال علي عليه السلام: (اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ، مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ، مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالطَّوِيلَةِ) [نهج البلاغة - باب حكم أمير المؤمنين].

وعن علي عليه السلام: (الْاكْتِسَابُ مِنَ الْحَلَالِ جِهَادٌ، وَإِنْفَاقُكَ إِيَّاهُ عَلَى عِيَالِكَ وَأَقَارِبِكَ صَدَقَةٌ، وَلَدِرْهَمٌ حَلَالٌ مِنْ تِجَارَةٍ أَفْضَلُ مِنْ عَشَرَةٍ مِنْ غَيْرِهِ) [مسند الإمام زيد ١٧٧].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ رَجُلٌ خَرَجَ ضَارِباً فِي الْأَرْضِ يَطْلُبُ مِنْ فَضْلِ اللهِ يَعُودُ بِهِ عَلَى عِيَالِهِ)) [مسند الإمام زيد ٢٧١ - أمالي أحمد بن عيسى - تيسير المطالب ٤٢٦].

وقال علي عليه السلام: (مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالاً تَعَطُّفاً عَلَى وَالِدٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ زَوْجَةٍ بَعَثَهُ اللهُ وَوَجْهُهُ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ) [مسند الإمام زيد ١٧٨ - أمالي أحمد بن عيسى].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ أَوْ يَكُونُ عِيَالاً عَلَى النَّاسِ)) [مسند الإمام زيد ١٤٢ - أمالي أحمد بن عيسى - تيسير المطالب ٤٢٧].

---

(١) في مجموع الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام: ((لأَنْ أَخْرُجَ إِلَى سُوقِكُمْ فَأَشْتَرِيَ صَاعاً مِنْ طَعَامٍ، وَذِرَاعاً مِنْ لَحْمٍ ثُمَّ أَدْعُو نَفَراً مِنْ إِخْوَانِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ رَقَبَةً)). تمت، مجموع ص٢٦١.

وقال علي عليه السلام لرجل يعظه: (إنْ كُنْتَ غَنِيًّا فَأَحْسِنْ، وَإنْ كُنْتَ فَقِيراً فَاصْبِرْ، وَضَعْ نَفْسَكَ لِلْحَقِّ، وَفِرَّ بِهَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا تَتَّكِلْ فِي مَعِيشَتِكَ عَلَى كَسْبِ غَيْرِكَ تَنْتَظِرُ مَتَى يَتَصَدَّقُ عَلَيْكَ) [تيسير المطالب ٥٦٢].

[في بر الوالدين وصلة الرحم]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

الميثاق: العَقْد، ويؤخذ من هذه الآيات الكريمة الإخلاص لله في العبادة، وثبوت حق الوالدين، إذ التقدير: وأحسنوا بالوالدين، وكذا الإحسان ممن عطف عليهم، وقد قرن الله سبحانه الإحسان بمن ذكر بعبادته فلا يُتساهل في ذلك مع هذا الترتيب.

عن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إني أريد الجهاد، فقال: ((أَحَيٌّ أَبَوَاكَ؟)) قال: نعم، قال: ((فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ)) [تيسير المطالب ٤١٨- الأمالي الخميسية١٦٧/٢ - شفاء الأوام] .

وعن أبي ذر: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أُوذِيتُ .... وقام إليه رجل فقال: يا رسول الله؛ أوصني، فقال: ((بِرَّ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَنْخَلِعَ مِنْ مَالِكَ كُلِّهِ فَافْعَلْ)) قال: يا رسول الله؛ زدني، قال: ((بِرَّ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَنْخَلِعَ مِنْ مَالِكَ كُلِّهِ فَافْعَلْ)) [تيسير المطالب ٤١٩].

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْنِينِي مِنَ الْجَنَّةِ،

وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: ((تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ ذَاتَ رَحِمِكَ)) فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ، فقال ﷺ: ((إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أَمَرْتُهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)) [تيسير المطالب ٤٢٠].

وجاء رجل إليه ﷺ فقال: هل بقي من بر أبوَيَّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: ((نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالْاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا)) [تيسير المطالب ٤٢٢].

وقال رجل: يا رسول الله؛ إن أهل بيتي أبوا إلا توثباً عَلَيَّ وقطيعةً لي وشتيمة، أفأرفضهم؟ قال: ((إِذاً يَرْفُضُكُمُ اللهُ جَمِيعاً)) قال: فكيف أصنع؟ قال: ((تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كَانَ لَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيراً)) [تيسير المطالب ٤٢٢].

وقال رجل: يا رسول الله؛ جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبوي يبكيان؟ فقال: ((ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا)) [تيسير المطالب ٤٢٣].

وعن علي عليه السلام: (بِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَاصْطِنَاعُ الْمَعْرُوْفِ زِيَادَةٌ فِيْ الرِّزْقِ وَعِمَارَةٌ فِيْ الدِّيَارِ) [مسند الإمام زيد ٢٧١].

وأتى رسول اللهَ ﷺ رجلٌ فقال: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ مِنِّي بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَبِالبِرِّ؟ قَالَ: ((أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أَبُوكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أَقَارِبُكَ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ)) [مسند الإمام زيد ٢٧٤].

وعن علي عليه السلام قال: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ بَارّاً بِوَالِدَيْهِ فِي حَيَاتِهِمَا، فَيَمُوتَانِ فَلَا يَسْتَغْفِرُ لَهُمَا، فَيَكْتُبُهُ اللهُ عَاقّاً، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ عَاقّاً لَهُمَا فِي حَيَاتِهِمَا، فَيَمُوتَانِ

فَيَسْتَغْفِرُ لَهُمَا، فَيَكْتُبُهُ اللهُ بَارّاً)) [الأحكام ٣٩٤/٢ - أمالي أحمد بن عيسى].

وقال ﷺ: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمْلأَ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَيُبْسَط لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُسْتَجَابَ لَهُ الدُّعَاءُ، وَتُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةَ السُّوءِ، فَلْيُطِعْ أَبَوَيْهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الرَّحِمَ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا لِسَانٌ طَلْقٌ ذَلْقٌ[1] تَقُولُ: اللَّهُمَّ صِلْ مَنْ وَصَلَنِي، اللَّهُمَّ اقْطَعْ مَنْ قَطَعَنِي، قَالَ: فَيُجِيبُهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنِّي قَدِ اسْتَجَبْتُ دَعْوَتَكِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَقَائِمٌ يَرَى أَنَّهُ بِسَبِيلِ خَيْرٍ حَتَّى تَأْتِيهِ الرَّحِمُ فَتَأْخُذُ بِهَامَتِهِ فَتَذْهَبُ بِهِ إِلَى أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ النَّارِ بِقَطِيعَتِهِ إِيَّاهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا)) [الأحكام ٣٩٤/٢ - أمالي أحمد بن عيسى].

وعنه ﷺ: ((النَّظَرُ فِي وُجُوهِ الْوَالِدَيْنِ إِعْظَاماً لَهُمَا وَإِجْلَالاً لَهُمَا عِبَادَةٌ)) [الأحكام ٣٩٥/٢].

وعنه ﷺ: ((مَنْ يَضْمَنْ لِي وَاحِدَةً أَضْمَنْ لَهُ أَرْبَعاً، مَنْ يَصِلْ رَحِمَهُ فَيُحِبَّهُ أَهْلُهُ، وَيَكْثُرَ مَالُهُ، وَيَطُولَ عُمُرُهُ، وَيَدْخُلَ جَنَّةَ رَبِّهِ)) [الأحكام ٣٩٥/٢].

[في حسن الخلق]

(وأمرهم الله بأن يقولوا للناس حُسْناً)، وذلك القول الحسن والدعاء إلى الله برفق ولين.

وعنه ﷺ: ((إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً، وَإِنَّ أَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَنْزِلاً الثَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ فَمَنِ الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: ((الْمُتَكَبِّرُونَ)) [تيسير المطالب ٤٤٨] وفي النهاية قال: المتفيهقون: الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم، مأخوذ من

(١) أي فصيح وحاد.

الفَهْقِ وهو الإمتلاء والاتساع، انتهى.

وعنه ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاس[1] مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ)) [تيسير المطالب ٢٣١].

وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتُدْرِكُهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَلِيْأَتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ)) [تيسير المطالب ٢٣٣] انتهى. ولا شك أنه يحب المرء أن يُكَلَّمَ بِقَولٍ حَسَنٍ.

وقال ﷺ: ((مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِناً حَتَّى يُحِبَّ لِلْمُؤْمِنِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) [تيسير المطالب ٢٣٥] وسيأتي لذلك إن شاء الله مزيد تأكيد.

[في الصبر]

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣].

أي استعينوا على مطالبكم الدنيوية والأخروية بهما، ومن الصلاة الدعاء لأنه يطلق عليه صلاةً، ولا ينال ما عند الله إلا بالصبر.

عنه ﷺ: ((إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْداً ابْتَلَاهُ، فَإِذَا ابْتَلَاهُ فَصَبَرَ كَافَأَهُ)) [الأحكام ٤٠٢/٢ - أمالي أحمد بن عيسى].

وعنه ﷺ: ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ حَرَّمَ اللهُ لَحْمَهُ عَلَى النَّارِ وَلَهُ الْجَنَّةُ، مَنْ إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيْبَةٌ اسْتَرْجَعَ، وَإِذَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ حَمِدَ اللهَ عِنْدَ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا،

(١) في الأصل: الناس، والمثبت من الأمالي وتخريج الشافي والإرشاد وغيرها.

وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ اللّٰهَ)) [الأحكام٤٠٢/٢ - أمالي أحمد بن عيسى- ونحوه في الأمالي الخميسية٣٤/١].

وقال: علي عليه السلام في صفة المؤمن: (الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ، وَيَشْنَأُ السُّمْعَةَ، طَوِيلٌ غَمُّهُ، بَعِيدٌ هَمُّهُ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ، شَكُورٌ صَبُورٌ، مغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ، ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ، سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ، نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ، وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ) [نهج البلاغة قسم الحكم - الديباج المضي].

وقال علي عليه السلام: (مَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ) [نهج البلاغة قسم الحكم - الاعتبار - الديباج].

وقال علي عليه السلام: (إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ) [نهج البلاغة قسم الحكم - الديباج].

وقال: (الصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحِدْثَانَ، والْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ) [نهج البلاغة قسم الحكم - الديباج].

وقال عليه السلام: (أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ) [نهج البلاغة قسم الحكم - الاعتبار - الديباج].

وقال عليه السلام: (لَا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ) [نهج البلاغة قسم الحكم- الديباج].

وقال عليه السلام: (لَا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ) [نهج البلاغة قسم الحكم - الديباج].

وقال عليه السلام: (الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ) [نهج البلاغة قسم الحكم - الديباج].

(وعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا خَيْرَ فِي

جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ، وَلَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ) [نهج البلاغة قسم الحكم - الديباج].

وقال عليه السلام: (الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى الصَّبْرِ، وَالْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ، وَالْجِهَادِ: فَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الشَّوْقِ، وَالشَّفَقِ، وَالزُّهْدِ، وَالتَّرَقُّبِ؛ فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ، وَمَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ) [نهج البلاغة قسم الحكم - الأمالي الخميسية١٠٥/١ - الديباج].

وقال عليه السلام لابنه الحسن: (وَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ، التَّصَبُّرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ يَعْصِمُ الْقَلْبَ، مَنْ حَلُمَ سَادَ) [من وصيته للحسن: [تيسير المطالب ١٣٠ - نهج البلاغة قسم الحكم - الديباج - الاعتبار].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾[آل عمران: ٢٠٠].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((يَا عَلِيُّ؛ غَمُّ الْعِيَالِ سِتْرٌ مِنَ النَّارِ، وَطَاعَةُ الْخَالِقِ أَمَانٌ مِنَ العَذَابِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الفَاقَةِ جِهَادٌ، وَأَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً، وَغَمُّ الْمَوْتِ كَفَّارَةٌ لِلذُّنُوبِ، وَاعْلَمْ يَا عَلِيُّ أَنَّ أَرْزَاقَ العِبَادِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، وَغَمُّكَ لَهُمْ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، غَيْرَ أَنَّكَ تُؤْجَرُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ أَغَمَّ الغَمِّ غَمُّ الْعِيَالِ)) [تيسير المطالب ٤٢٥ - حقائق المعرفة].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِالْحِلْمِ دَرْجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُكْتَبُ جَبَّاراً وَمَا يَمْلِكُ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِهِ)) [تيسير المطالب ٤٣٨ - ونحوه في أمالي أحمد بن عيسى والأحكام ٤٠٠/٢].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَا إِيمَانَ كَالصَّبْرِ، ....، وَآفَةُ الْحِلْمِ الْغَضَبُ)) [تيسير المطالب ٤٦١].

وكم ذكر الله سبحانه في كتابه في الصبر، فعليك به وبالدعاء إلى الله سبحانه أن يرزقكه.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

حكم الله لمن تلبس بهذه الخصال الشريفة بأنهم مُتَّقون صادقون، وقد وعد المتقين بالجنة، وأتى سبحانه بالإشارة للبعيد للتعظيم والتأكيد، وأكد ذلك بالضمير والتعريف والموصول وبالجملة الإسمية، فاستمسك بهذه الخصال تنجُ يوم القيامة من الأهوال، وقرن سبحانه إيتاء المال على حبه -أي المال- بالإيمان بالله وبما عطف عليه، ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران:٩٢] ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن] وقدَّم سبحانه ذوي القربى لكونهم أحق.

عنه ﷺ: ((صَدَقَتُكَ عَلَى قَرَابَتِكَ صِلَةٌ وَصَدَقَةٌ، صَدَقَتَانِ))[تيسير المطالب ٤٢٥-الأمالي الخميسية١٧٨/٢ - شفاء الأوام].

وقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ أي مجاعة ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: ١١-١٦].

وعنه ﷺ: ((اضْمَنُوا لِي سِتًّا أَضْمَنْ لَكُمْ عَلَى اللهِ الْجَنَّةَ، أَوْفُوا إِذَا وَعَدتُّمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ)) [الأحكام ٥٤١/٢].

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾: شدة الفقر، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرض، ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾ وقت شدة القتال في سبيل الله تعالى.

وكم أثنى الله ورسوله على الصبر: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة]، ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل:١٢٧].

والغالب على الخصال الشريفة أن تكون مقرونة بالصبر.

عن علي عليه السلام سألت رسول الله ﷺ عن الزهد ما هو؟ فقال ﷺ: ((يَا عَلِيُّ؛ مَثِّلِ الْآخِرَةَ فِي قَلْبِكَ وَالْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنَيْكَ، وَكُنْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَجَلٍ، وَأَدِّ فَرَائِضَ اللهِ، وَاكْفُفْ عَنْ مَحَارِمِهِ، وَنَابِذْ هَوَاكَ، وَاعْتَزِلِ الشَّكَّ وَالشُّبْهَةَ، وَالطَّمَعَ وَالْحِرْصَ، وَاسْتَعْمِلِ التَّوَاضُعَ وَالتَّصَفَةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَلِينَ الْكَلَامِ، وَاقْنَعْ بِقَبُولِ الْحَقِّ مِنْ حَيْثُ وَرَدَ عَلَيْكَ، وَاجْتَنِبِ الْكِبْرَ وَالْبُخْلَ وَالْعُجْبَ وَالرِّيَاءَ وَمَشْيَةَ الْخُيَلَاءِ، وَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ نِعَمَ اللهِ وَإِنْ قَلَّتْ، وَجَاوِرْهَا بِالشُّكْرِ، وَاذْكُرِ اللهَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَاحْمَدْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَصِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَاعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَلْيَكُنْ صَمْتُكَ فِكْراً، وَكَلَامُكَ ذِكْراً، وَنَظَرُكَ اعْتِبَاراً، وَتَحَبَّبْ مَا اسْتَطَعْتَ، وَعَاشِرِ النَّاسَ بِالْحُسْنَى، وَاصْبِرْ عَلَى النَّازِلَةِ، وَاسْتَهِنْ بِالْمُصِيبَةِ، وَأَعْمِلِ الْفِكْرَةَ فِي الْمَقَادِيرِ، وَاجْعَلْ شَوْقَكَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَخُذْ مِنَ الْحَلَالِ مَا شِئْتَ إِذَا أَمْكَنَكَ، وَجَانِبِ الْجَمْعَ وَالطَّمَعَ، وَاعْتَصِمْ بِالْإِخْلَاصِ

وَالتَّوَكُّلِ، وَابْنِ عَلَى أُسِّ التَّقْوَى، وَكُنْ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُمَا كَانَ، وَمَيِّزْ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ بِعَقْلِكَ فَإِنَّهُ حُجَّةُ اللهِ عَلَيْكَ، وَوَدِيعَتُهُ فِيكَ، وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكَ، فَذَلِكَ أَعْلَامُ الْهُدَى وَمِنْهَاجُهُ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) انتهى، [تيسير المطالب ٤٩٩].

فهذه الخصال الشريفة لا تنال أو بعضها إلا بالصبر، وقد قرن ﷺ الصبر بهذه الخصال.

قوله تعالى: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦]

المعنى: بادروا إلى فعلٍ يوجب لكم المغفرة والجنة، وذلك التوبة وفعل الواجبات واجتناب الكبائر، ودلت أنَّ الجنة للمتقين، ثم ذكر سبحانه صفاتهم، وقدم الإنفاق في السراء وهو الرخاء، والضراء وهو العسر؛ لأنَّ الإنفاق أشق على النفس وأدل على الإخلاص.

والصفة الثانية: كظم الغيظ بالصبر عليه والحلم: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾ [الشورى].

كظم الغيظ

وعنه ﷺ: ((خِيَارُ أُمَّتِي هُمُ الَّذِين إِذَا غَضِبُوا رَجَعُوا)) [تيسير المطالب ٥٥٨].

وعنه ﷺ: ((مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُؤُوسِ

الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ حُورٍ شَاءَ)) [تيسير المطالب ٥٥٨].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ رَدَّ غَضَبَهُ دَفَعَ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ، وَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنِ اعْتَذَرَ إِلَى اللهِ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ)) [تيسير المطالب ٥٥٩].

الصفة الثالثة: العفو عن الناس، أي المسامحين لمن ظلمهم احتساباً: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] ((وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ)) والعامل بهذه الصفة القليل.

العفو عن الناس

وقال علي عليه السلام: (جُدْ[1] عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ؛ فَتَسْخِيرُ الْعَدُوِّ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ أَحَدُ الظَّفَرَيْنِ)، (تَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، [وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً][2])، (لِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ).

وقال عليه السلام في صفة المتقين: (الْمُتَّقِي ... مَكْظُوماً غَيْظُهُ...، يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ).

ثم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ أي يثيبهم ويكرمهم ويعظمهم.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَا مِنْ مُؤْمِنٍ أَتَاهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ فَسَأَلَهُ حَاجَةً هُوَ يَقْدِرُ عَلَى قَضَائِهَا فَيَرُدُّهُ عَنْهَا إِلَّا قَالَ اللهُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَتَاكَ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَسَأَلَكَ حَاجَةً قَدْ مَلَّكْتُكَ قَضَاءَهَا فَرَدَدْتَهُ عَنْهَا؛ لَا قَضَيْتُ لَكَ الْيَوْمَ حَاجَةً)) [تيسير المطالب ٤٤٦].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ

(١) في نهج البلاغة: خُذْ، تمت.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة في الديباج وفي النهج.

فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُسْلِمٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ)) [تيسير المطالب ٤٤٠].

وعنه ﷺ: ((مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَبَالَغَ فِيهَا قُضِيَتْ أَوْ لَمْ تُقْضَ كُتِبَتْ لَهُ عِبَادَةُ سَنَةٍ)) [تيسير المطالب ٢٢٨ - ٤٤١].

وعنه ﷺ: ((مَنْ عَرَفَ لِكَبِيرٍ لِسِنِّهِ فَوَقَّرَهُ أَمَّنَهُ اللهُ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) [تيسير المطالب ٤٤٣].

وعنه ﷺ: ((مِنْ أَوْجَبِ الْمَغْفِرَةِ إِدْخَالُكَ السُّرُورَ عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِمِ)) [الأحكام ج٢ - تيسير المطالب ٤٤٣ – الأمالي الخميسية٢/٢٤٤].

وعنه ﷺ: ((أَثْبَتُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ: إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، وَمُوَاسَاةُ الْأَخِ فِي اللهِ، وَذِكْرُ اللهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ)) [تيسير المطالب ٤٤٤ ومثله في الاعتبار].

وقال علي عليه السلام: (فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا وَخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ).

[في الاستغفار]

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ أي ذنباً قبيحاً متزايداً فيه ﴿أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بأي ذنب ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي وعيده أو جلاله ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟﴾ أي تابوا ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟﴾ أي لم يديموا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟﴾ بل أقلعوا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الذي أتوه معصية ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ ترغيباً في الطاعة.

وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يحتمل أن يكون إشارة إلى الفريقين فيكون الجميع فرقة واحدة، ويحتمل أن يكون ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ، خبره ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾، فيكونا فرقتين، فبين

سبحانه أنَّ الجنة للمتقين ولمن عصى ثم تاب.

وقد قال ﷺ: ((مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيْمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَتُوْبُ إِلَيْهِ، ثُمَّ مَاتَ؛ غُفِرَتْ ذُنُوْبُهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ وَرَمْلِ عَالِجٍ)) [مسند الإمام زيد ٢٧٥ - تيسير المطالب ٣٥١ - حقائق المعرفة ٢٤٧].

وقال ﷺ: ((مَنْ خَتَمَ يَوْمَهُ يَقُولُ عَشْرَ مَرَّاتٍ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا كَانَ فِي يَوْمِهِ، أَوْ قَالَهَا فِي لَيْلٍ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا كَانَ فِي لَيْلَتِهِ)) [الأحكام ٣٨٩/٢ - أمالي أحمد بن عيسى - كتاب الذكر].

وعنه ﷺ: ((مَنْ لَزِمَ الْاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)) [تيسير المطالب ٣٤٩ - الأمالي الخميسية٣٢٣/١].

وعنه ﷺ: ((خَيْرُ الْعِبَادَةِ الْاسْتِغْفَارُ)) [تيسير المطالب ٣٤٩].

وقال ﷺ: ((لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، وَدَوَاءُ الذُّنُوبِ الْاسْتِغْفَارُ)) [تيسير المطالب ٣٥٢].

وقال ﷺ: ((إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا وَحَمِدَا اللهَ وَاسْتَغْفَرَاهُ غُفِرَ لَهُمَا)) [تيسير المطالب ٣٥٢].

وقال ﷺ: ((خَيْرُ الدُّعَاءِ الْاسْتِغْفَارُ، وَخَيْرُ الْعِبَادَةِ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)) [تيسير المطالب ٣٥٢].

وهذا الاستغفار إنما هو مع الندم على ما كان منه، والعزم على ترك أمثاله، ألا ترى إلى قول علي عليه السلام: (أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ).

وقوله: (إِنَّ الْإِسْتِغْفَارَ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وَهُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ:

أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى.

وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً.

وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللهَ عزّ وجلّ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ.

وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّي حَقَّهَا.

وَالْخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ، حَتَّى يَلْصقَ الْجِلْدُ بِالْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ.

وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ.

فَعِنْدَ ذلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

المعنى: إن في إيجادهما وألوانهما وتركيبهما وإمساك السماوات، وتزيين سماء الدنيا بالنجوم، وبسط الأرض، وما فيها من العجائب والنبات والجبال، وتعاقب الليل والنهار، وزيادتهما ونقصانهما، وظلمة أحدهما وضياء الآخر؛ ﴿لَّأَيَٰتٍ﴾: دلالات على قدرته، ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ لذوي العقول، ثم وصف سبحانه ذوي العقول بأنهم يذكرون الله على كل حال، ويحتمل الذكر باللسان، ويحتمل بالقلب، والأكمل أن يكون بهما، ويتفكرون في خلقهما يقولون ربنا .. إلخ. و ﴿بَٰطِلًا﴾ أي عبثاً، بلْ دليل على كمال قدرتك، ودليل على ربوبيتك. ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهاً لك

عن خلق العبث.

[في الذكر]

قال علي عليه السلام لبعض أصحابه في علة اعتلها: (جَعَلَ اللهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حطّاً لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ، وَيَحُتُّهَا حَتَّ الْأَوْرَاقِ، وَإِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ، وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ الْجَنَّةَ) ففي هذا دلالة على أنَّ الذكر باللسان فقط عبادة يثاب عليها.

ودخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على بعض أزواجه وعندها نوى العجوة تسبح عدده كل يوم فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَقَدْ قُلْتُ فِي مَقَامِي هَذَا أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَّحْتِ بِهِ فِي أَيَّامِكِ كُلِّهَا)) قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((قُلْتُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُكَ، وَسُبْحَانَكَ زِنَةَ عَرْشِكَ، وَمُنْتَهَى رِضَا نَفْسِكَ)) [مسند الإمام زيد ١١٥].

وقال علي عليه السلام: (مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَحَمِدَهُ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَكَبَّرَهُ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَهَلَّلَهُ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَقَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ مِائَةَ مَرَّةٍ، دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَلَاءِ سَبْعِينَ نَوْعًا أَدْنَاهَا الْقَتْلُ، وَكَتَبَ لَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ عَدَدَ مَا سَبَّحَ سَبْعِينَ ضِعْفًا، وَمَحَى عَنْهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ سَبْعِينَ ضِعْفًا) [مسند الإمام زيد ١١٥].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((خَصْلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلْ بِهِمَا قَلِيلٌ؛ يُسَبِّحُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْراً، وَيَحْمَدُ عَشْراً، وَيُكَبِّرُ عَشْراً، فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَيُكَبِّرُ أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ وَيَحْمَدُ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ

وَيُسَبِّحُ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ)) [تيسير المطالب ٤٧٣].

وعنه ﷺ: ((مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الْفَجْرَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَحَاجِّ بَيْتِ اللهِ)) [مسند الإمام زيد ١١٧- تيسير المطالب ٤٧٤ - أمالي أحمد بن عيسى - كتاب الذكر].

وعنه ﷺ: ((مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ)) [تيسير المطالب ٤٧٤ - كتاب الذكر].

وسئل ﷺ: أيُّ الكَلامِ أفْضَل؟ قال: ((مَا اصْطَفَاهُ اللهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ)) [تيسير المطالب ١٢٥].

وقال ﷺ لرجلٍ: ((مَا غَيَّبَكَ عَنَّا؟)) قال: الفَقْر وطول السّقم، فقال ﷺ: ((أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهَا أَذْهَبَ اللهُ عَنْكَ الْفَقْرَ وَالسَّقَمَ)) قَالَ: بَلَى، قَالَ: ((إِذَا أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ فَقُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ)) [تيسير المطالب ١٠٥].

وعنه ﷺ: ((سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ، وَهُنَّ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ)) [تيسير المطالب ٤٧٥ - كتاب الذكر].

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَا عَلِيُّ؛ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً إِذَا وَقَعْتَ فِي وَرْطَةٍ فَقُلْتَهَا، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: إِذَا وَقَعْتَ فِي وَرْطَةٍ فَقُلْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ العَظِيمِ، فَإِنَّ اللهَ يَصْرِفُ بِهَا مَا يشَاءُ مِنْ أَنْوَاعِ البَلَايَا)) [تيسير المطالب ٤٧٦].

وعن ابن عباس أَنَّ الفُقَرَاءَ أَتَوْا إلى النَّبِي ﷺ فَقَالُوا: إنَّ الْأَغْنِيَاءَ يَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَلَهُمْ أَمْوَالٌ يَتَصَدَّقُونَ مِنْهَا، فَقَالَ ﷺ: ((إِذَا صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: سُبْحَانَ اللهِ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَاللهُ أَكْبَرُ أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ، فَإِنَّكُمْ سَتُدْرِكُونَ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ)) [تيسير المطالب ٤٧٦].

وعنه ﷺ: ((مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ يُذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ كَانَ لَهُ حِجَاباً أَوْ سِتْراً مِنَ النَّارِ)) [تيسير المطالب ٤٧٨ - كتاب الذكر].

وعلم ﷺ أسماء بنت عميس شيئاً، أَمَرَها ﷺ تقوله عند الكرب: ((اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)) [تيسير المطالب ٤٧٨ - كتاب الذكر].

وعنه ﷺ: ((لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً)) [تيسير المطالب ٤٧٩].

وأما التفكر: فعنه ﷺ أنه قال: ((لَا عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ)) [تيسير المطالب ٤٦١].

وعن علي عليه السلام: (لَا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ) [نهج البلاغة - الديباج].

وفي الذكر أيضاً قال ﷺ لما سئل عن أفضل الإيمان قال: ((أَنْ تُحِبَّ لِلَّهِ، وَتَبْغَضَ لِلَّهِ، وَتَعْمَلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ اللهِ)) [تيسير المطالب ٤٥٥].

وعن أبي ذر: أوصاني رسول الله ﷺ أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ وَيَدْفَعُ اللهُ بِهَا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْبَلَاءِ، أَدْنَاهَا وَأَيْسَرُهَا الْهَمُّ وَالْحُزْنُ) [تيسير المطالب ٤١٩].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢]

نهى سبحانه عن التحاسد، أي لا تتمنوا ما لغيركم؛ فإنها قِسْمَةٌ صادرة من حكيم، فعلى كل أحد أن يرضى بما قسمه الله بين العباد من الأرزاق والجاه ونحوهما، ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ أي ثواب ﴿مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ﴾ من أعمال البر ونصيب مما حازوه مـمَّا فرض الله لهم من الميراث وغيره من نعيم الدنيا، وللنساء كذلك، ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ ولا تتمنوا نصيب غيركم، ﴿عَلِيمًا﴾: أي عليم بما يصلحهم وبالحكمة التي لأجلها فَاضَلَ.

[في القناعة الرضى، وترك الطمع]

وعن علي عليه السلام: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((يَا عَلِيُّ؛ عَلَيْكَ بِالْيَأْسِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّهُ الْغِنَى الْحَاضِرُ، فَقُلْتُ: زِدْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: إِيَّاكَ وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ الفَقْرُ الْحَاضِرُ، فَقُلْتُ: زِدْنِي، فَقَالَ: إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ فَإِنْ يَكُ خَيْرًا فَاتَّبِعْهُ، وَإِنْ يَكُ غَيًّا فَدَعْهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ مِنَ اليَقِينِ أَنْ لَا تُرْضِيَ أَحَداً بِسَخَطِ اللهِ، وَلَا تَحْمَدَ أَحَداً عَلَى مَا أَتَاكَ اللهُ، وَلَا تَذُمَّ أَحَداً عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، فَإِنَّ الرِّزْقَ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ وَلَا يَصْرِفُهُ كَرَاهَةُ كَارِهٍ، إِنَّ اللهَ بِحِكْمَتِهِ وَفَضْلِهِ جَعَلَ الرَّوحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِ وَالسَّخَطِ)) [تيسير المطالب ٥٠٢ - حقائق المعرفة] انتهى.

فعليك بالرضى بقسمة الله تُرِحْ نفسك في الدنيا والآخرة.

قال أمير المؤمنين:

إِذَا يَقْضِي لَكَ الرَّحْمَنُ رِزْقاً ... يُعِدُّ لِرِزْقِهِ الْمَقْضِيّ بَابا
وَإِنْ يُحْرِمْكَ لَا تَسْطِعْ بِحَوْلٍ ... وَلَا رَأْيِ الرِّجَالِ لَهُ اكْتِسَابا
فَأَقْصِرْ فِي خُطَاكَ فَلَسْتَ تَعْدُو ... بِحِيلَتِكَ الْقَضَاءَ وَلَا الكِتَابَا

وقال عليه السلام:

لَا تَعْتِبَنَّ عَلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا ... يَأْتِيكَ رِزْقُكَ حِينَ يُؤْذَنُ فِيهِ
سَبَقَ الْقَضَاءُ بِوَقْتِهِ فَكَأَنَّمَا ... يَأْتِيكَ حِينَ الوَقْتِ أَوْ تَأْتِيهِ
وِثْقَنْ بِمَوْلَاكَ اللَّطِيفِ فَإِنَّهُ ... بِالْعَبْدِ أَرْأَفُ مِنْ أَبٍ بِبَنِيهِ
وَأَشِعْ غِنَاكَ وَكُنْ لِفَقْرِكَ صَائِناً ... تُضْنِي حَشَاكَ وَأَنْتَ لَا تُبْدِيهِ
فَالْحُرُّ يَكْتُمُ جَاهِداً إِعْدَامَهُ ... فَكَأَنَّمَا عَنْ نَفْسِهِ يُخْفِيهِ

وقال عليه السلام: (لَا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ، حَتّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ أَوْثَقَ مِنهُ بِمَا فِي يَدِهِ) [نهج البلاغة - الديباج] فليسأل العبد ربه.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَشْبَعْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي؛ كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ. يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لَمْ يَزِدْ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَا سَأَلَنِي لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ مِنَ الْبَحْرِ أَنْ يُغْمَسَ فِيهِ الْمِخْيَطُ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ شَرًّا فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» [تيسير المطالب ٥٣٩].

وقال علي عليه السلام في وصيته للحسن: (وَاعْلَمْ، أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، .. إلى أن قال: فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ.. وَمَتَى شِئْتَ دَعَوْتَهُ فَلَبَّاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعَمِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ).

قوله تعالى: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾ [النساء: ٣٦-٣٧]

أرشد الله سبحانه في هذه إلى عشرة من الأخلاق الحسنة:

الأول: عبادة الله وحده، مخلصين له العبادة، غير مُرائين، كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

[الذين يتوجب الإحسان إليهم]

الثاني: الإحسان بالوالدين، وقد أكد سبحانه حقهم وكرره في القرآن: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء] ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ [العنكبوت:٨][1]، وقال سبحانه في الوالدين الكافرين: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان:١٥].

قال علي عليه السلام: (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود] فَسُئِلَ عليه السلام: مَا الْكَبَائِرُ؟ فَقَالَ: قَتْلُ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ) [مسند الإمام زيد ٩٠- أمالي أحمد بن عيسى].

الثالث: وبذي القربى، وهم قرابة النسب، وقد أكد الله حقهم في غير موضع: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ [النساء:١].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَا تَزَالُ أُمَّتِي يُكَفُّ عَنْهَا الْبَلَاءُ مَا لَمْ يُظْهِرُوا خِصَالاً: عَمَلاً بِالرِّبَا، وَإِظْهَارَ الرُّشَا، وَقَطْعَ الأَرْحَامِ، وَتَرْكَ الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ، وَتَرْكَ هَذَا الْبَيْتِ

(١) وهي في سورة الأحقاف الآية ١٦ على قراءة نافع، وقراءة حفص: ﴿إِحْسَاناً﴾.

أَنْ يُؤَمَّ، فَإِذَا تُرِكَ هَذَا الْبَيْتُ أَنْ يُؤَمَّ لَمْ يُنَاظَرُوا)) [مسند الإمام زيد ٩٠- أمالي أحمد بن عيسى - الأحكام ٩٨/١ - تيسير المطالب ٥٥٦ - الشفاء].

وعنه ﷺ: ((إِنَّ أَفْضَلَكُمْ إِيمَاناً أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقاً؛ المُوَطِّئُونَ أَكْنَافاً، الوَاصِلُونَ لِأَرْحَامِهِمْ، البَاذِلُونَ لِمَعْرُوفِهِمْ، الكَافُّونَ لِأَذَاهُمْ، العَافُونَ بَعْدَ قُدْرَةٍ)) [مسند الإمام زيد ٢٦٠- أمالي أحمد بن عيسى - تيسير المطالب ٤٤٩].

الرابع: اليتامى، عنه ﷺ: ((لَا يَلِي مُسْلِمٌ يَتِيماً فَيُحْسِنُ إِلَيْهِ فِي وِلَايَتِهِ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ دَرَجَةً، وَكَتَبَ لَهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ حَسَنَةً، وَمَحَى عَنْهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ سَيِّئَةً)) [تيسير المطالب ٤٤٧].

وقال علي عليه السلام في وصيته للحسنين: (اللهَ اللهَ فِي الْأَيْتَامِ، فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ).

الخامس: المساكين، وقد أكد الله حقهم في غير موضع: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴿١٦﴾﴾ [البلد] ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴿١٨﴾﴾[الفجر].

وعنه ﷺ: ((أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مِسْكِيناً عَلَى جُوعٍ؛ أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ)) [تيسير المطالب ٤٤٠ - ونحوه في الأحكام ٣٩٥/٢ - وفي أمالي أحمد بن عيسى].

السادس: الجار ذي القربى، أي القريب منك في الجوار وفي النسب.

السابع: الجار الجنب، أي البعيد عنك في الجوار أو النسب.

الثامن: الصاحب بالجنب، وهو عام لمن الْتأَمَتْ بينك وبينه أدنى صحبة كرفيق الطريق وقريب الجوار والشريك في تعلم علم أو صناعة أو غير ذلك، وكل قاعد بجنبك في مسجد أو غيره، وكالزوجة فعليك أن ترعى لهم حقهم.

عنه ﷺ: ((لَمْ يَزَلْ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)) [تيسير

المطالب ٤٦٥].

وقال علي عليه السلام في وصيته للحسنين: (اللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ).

التاسع: ابن السبيل ـ وهو الذي انقطع عن بلده، والإحسان إليه: إيواؤه ومعونته وإعطاؤه حقه، وقيل: الضيف.

العاشر: ما ملكت أيمانكم من الرقيق والبهائم، عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((حُسْنُ الْمَلَكَةِ نَمَاءٌ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ)) [تيسير المطالب ٤٣٦].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيُكْتَبُ جَبَّاراً وَمَا يَمْلِكُ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِهِ)) [تيسير المطالب ٤٣٨ – ومثله في أمالي أحمد بن عيسى والأحكام ٤٠٠/٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أَرِقَّاءَكُمْ، لَمْ يُنْجَرُوا مِنْ شَجَرٍ، وَلَمْ يُنْحَتُوا مِنْ جَبَلٍ، أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَاسْقُوهُمْ مِمَّا تَشْرَبُونَ، وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ)) [مسند الإمام زيد ٢٦٠- تيسير المطالب ٥١٧ – شفاء الأوام].

ثم لما ذكر تعالى هذه الأصناف قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء] المختال ذو الخيلاء والكبر، وفَخُورٌ: أي فخور على الناس بما أوتي من الرزق وغيره، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((آفَةُ الْحَسَبِ الْفَخْرُ)) [تيسير المطالب ٤٦١] لأن المختال يأنف من أقاربه إذا كانوا فقراء ومن جيرانه إذا كانوا ضعفاء، فلا يحسن عشرتهم لكِبْرِه وتطاوله، ثم وصف المختال الفخور بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ.... إلخ﴾ [النساء:٣٧] فيدل على قبح البخل بالعلم والدين، والبخل بالمال وكتمان ذلك؛ لأنه كفر للنعمة.

[الإنفاق ومايصاحبه من بخل أوسخاء]

وعنه ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ السَّخِيَّ فَأَحِبُّوهُ، وَيَبْغَضُ الْبَخِيْلَ فَابْغَضُوْهُ)) [الأحكام ٤٠٢/٢].

وعنه ﷺ: ((السَّخَاءُ شَجَرَةٌ، أَصْلُهَا فِي الْجَنَّةِ وَأَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا، فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا قَادَهُ ذَلِكَ الْغُصْنُ إِلَى الجَنَّةِ، وَالبُخْلُ شَجَرَةٌ نَابِتَةٌ فِي النَّارِ وَأَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا، فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا قَادَهُ ذَلِكَ الغُصْنُ إِلَى النَّارِ)) [الأحكام ٤٠٢/٢ - أمالي أحمد بن عيسى].

وعنه ﷺ: ((ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ مَا الْمُنْجِيَاتُ؟ قَالَ: ((خَوْفُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالسَّخَطِ، وَالْقِسْطُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ فَمَا الْمُهْلِكَاتُ؟ قَالَ: ((هَوىً مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ)) [تيسير المطالب ٤٣٠ - الاعتبار ٣٠٠ - الأمالي الخميسية٣٠٢/٢].

وقال ﷺ: ((فُكُّوا الْعَانِي[1]، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ)) [تيسير المطالب ٤٣١].

وعنه ﷺ: ((لَا غَابَتْ شَمْسُ يَوْمٍ إِلَّا وُكِّلَ بِجَنَبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَاعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً)) [تيسير المطالب ٤٣٠].

وعنه ﷺ: ((مَنْ أَبْلَى بَلَاءً -يَعْنِي مَعْرُوفاً- اتُّخِذَ عِنْدَهُ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ جَزَاءً إِلَّا الثَّنَاءَ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ، وَمَنْ تَحَلَّى بِبَاطِلٍ فَهُوَ كَمَنْ لَبِسَ ثَوْبَيْ زُورٍ)) [تيسير المطالب ٤٦٢].

---

(١) العاني: يعني الأسير، تمت، هامش نسخة.

وقال ﷺ: ((ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: مَا نَقَصَ مَالٌ قَطَّ مِنْ صَدَقَةٍ، فَتَصَدَّقُوا؛ وَلَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلُمَةٍ ظُلِمَهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا، فَاعْفُوا يَزِدْكُمُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ؛ لِأَنَّ الْعِفَّةَ خَيْرٌ)) [تيسير المطالب ٥٤٠].

وعنه ﷺ: ((مَنْ ضَمَّ يَتِيماً مِنْ بَيْنِ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يُغْنِيَهُ اللهُ أَوْجَبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ الْجَنَّةَ؛ إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ ذَنْباً لَا يُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَذْهَبَ كَرِيمَتَيْهِ كَانَ ثَوَابُهُ عِنْدَهُ الْجَنَّةَ، قِيلَ: وَمَا كَرِيمَتَاهُ؟ قَالَ: عَيْنَاهُ، وَمَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ يَرْحَمُهُنَّ وَيُنْفِقُ عَلَيْهِنَّ وَيُحْسِنُ أَدَبَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوِ اثْنَتَيْنِ؟ قَالَ أَوِ اثْنَتَيْنِ)) [تيسير المطالب ٤٢٥].

وعنه ﷺ: ((مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَحَمَلَ مِنْهَا طُرْفَةً[1] إِلَى عِيَالِهِ كَانَ كَحَامِلِ صَدَقَةٍ، وَلِيَبْدَأْ بِالْإِنَاثِ قَبْلَ الذُّكُورِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ أَقَرَّ بِعَيْنِ أُنْثَى أَقَرَّ اللهُ عَيْنَهُ أَوْ قَالَ: بِعَيْنِهِ يَوْمَ الْحَزَنِ، وَمَنْ فَرَّحَ أُنْثَى فَكَأَنَّمَا بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَمَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ أَسْكَنَهُ اللهُ الْجَنَّةَ)) [تيسير المطالب ٤٢٦].

وقال ﷺ: ((إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَجْمَعُ فُقَرَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَيَاسِيرَهَا فِي رَحَبَةِ بَابِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَبْعَثُ مَنَادِياً فَيُنَادِي مِنْ بَطْنَانِ الْعَرْشِ: أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْكُمْ وَصَلَهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ فِي اللهِ وَلَوْ بِلُقْمَةٍ مِنْ خُبْزٍ فَلْيَأْخُذْ بِيَدِهِ عَلَى مَهَلٍ حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، قَالَ: وَهُمْ أَعْرَفُ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ مِنْهُمْ بِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: فَيَجِيءُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حَتَّى يَضَعَ يَدَهُ عَلَى ذِرَاعِ أَخِيهِ الْمُكْرِمِ لَهُ الوَاصِلِ لَهُ، فَيَقُولُ: يَا أَخِي أَمَا تَعْرِفُنِي؟ أَلَسْتَ الصَّانِعُ بِي كَذَا وَكَذَا؟ -يُعَرِّفُهُ كُلَّ شَيْءٍ صَنَعَهُ بِهِ مِنَ البِرِّ وَالتُّحْفَةِ- فَقُمْ مَعِي، فَيَقُولُ: إِلَى أَيْنَ؟ فَيَقُولُ: لِأُدْخِلَكَ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ

(١) قال في القاموس: هي الغريب من الثمر، تمت، هامش الأصل.

وَجَلَّ قَدْ أَذِنَ لِي فِي ذَلِكَ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ آخِذاً بِيَدِهِ، لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا وَمَنِّهِ عَلَيْهِمَا)) [تيسير المطالب ٥٦٨].

[في الحسد]

قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[النساء: ٥٤]

هذه من أوصاف اليهود. ﴿أَمْ﴾: أي بل. و ﴿ٱلنَّاس﴾: النبي ﷺ والمؤمنون، والفضل: النبوة والإيمان والنصرة والغلبة وغير ذلك. والملك العظيم: النبوة والإمامة، ونحو ملك سليمان، وما أبيح لداوود من التسع والتسعين من النساء، ولسليمان قيل مائة وقيل ألف، ما بين حرة وسرية.

دلت هذه الآية أن الكتاب والحكمة والملك في آل إبراهيم، ودلت علىٰ تحريم الحسد، وأنه من أخلاق اليهود أخزاهم الله.

والحسد: كراهة وصول النعم أو بقائها للغير لا لوجه يقتضي ذلك من عداوة أو غيرها، وهو داءٌ، إن لم يدافعه العبد ربما أدىٰ إلىٰ معارضة الباري جل وعلا، ومخالفة مراد الله؛ لأن الله سبحانه أراد له النعمة، والحاسد أراد زوالها كاليهود في حسدهم ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ..... وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢] ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق] ومع الحسد لا يمكن أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك.

وسأل معاذٌ رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان، فقال: ((أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتَبْغَضَ لِلَّهِ، وَتَعْمَلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ اللهِ، قَالَ: ومَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ

تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهَ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ)) [تيسير المطالب ٤٥٥].

وقال ﷺ: ((لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَالَ: أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ وَتَوَاصَلُوا وَتَبَاذَلُوا)) [مسند الإمام زيد ٢٦٠- الأمالي الخميسية٢/٢٠٠ - الشفاء].

وقال ﷺ: ((لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِناً حَتَّى يُحِبَّ لِلْمُؤْمِنِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) [تيسير المطالب ٢٣٥].

وقال ﷺ: ((خَمْسٌ لَا يُعْذَرُ بِجَهْلِهِنَّ أَحَدٌ: مَعْرِفَةُ اللهِ؛ أَنْ تَعْرِفَ اللهَ وَلَا تُشَبِّهَهُ بِشَيْءٍ، وَمَنْ شَبَّهَ اللهَ بِشَيْءٍ أَوْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ يُشْبِهُهُ شَيْءٌ فَهُوَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاجْتِنَابُ الظُّلْمِ)) [تيسير المطالب ٤٥٤ - حقائق المعرفة] انتهى.

ومع الحسد يصعب الحب في الله، فيدافعه بما أمكن من الرضا بقضاء الله، ومن المواصلة وترك المقاطعة.

قال علي عليه السلام: (الْانْقِباضُ يَجْلِبُ الْعَدَاوَةَ، وَالْخُلْطَةُ تُورِثُ الْمَحَبَّةَ).

وقال عليه السلام: (شَرُّ أَخْلَاقِ الْمَرْءِ الْحَسَدُ).

وقال: (لَا تَحَاسَدُوا، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ).

وقال علي عليه السلام: (الْحِرْصُ[1] وَالْكِبْرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ، وَالشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِئِ الْعُيُوبِ).

وقال: (الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الْاِسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ[2]، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الْاِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ

(١) الحرص: أن تأخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك.

(٢) وهو التصريح فوق ما ينبغي، تمت، هامش الأصل.

حَسَدٌ).

وقال: (صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ).

وقال عليه السلام: (عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ).

وقال: (حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ).

وقال: (الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً، وَلَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ)) [الأحكام ٤١٣/٢ - تيسير المطالب ٥٤٧ - الأمالي الخميسية١٨٥/٢].

وروى الحاكم أبو سعيد في جلاء الأبصار بسنده عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ))(١) قال الحاكم: لأن الحسد هو أن يتمنى الإنسان زوال نعمةٍ أنعم الله على عبد؛ ويكرهه، فإذا كره ما هو فعل الله وتمنى أن لم يكن؛ فقد ارتكب كبيرة. انتهى.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠]

أي قبيحاً يسوء به غيره، أو يظلم نفسه بارتكاب المعاصي.

---

(١) رواه من حديث عن أنس القاضي العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار ٤٨٩/١ الباب (٩١)، وعزاه إلى أمالي السمان، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه ابن ماجة، وحسنه السيوطي، وأبو يعلى عن أنس بلفظه. انتهى، وعزاه موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٦٨/٤ إلى سنن ابن ماجة (٤٢١٠)، والدر المنثور للسيوطي ٤١٩/٦، والترهيب والترغيب للمنذري ٥٤٧/٣، وإتحاف السادة المتقين٢٩٤/١، ٥٠/٨، ٤٤٩، وتفسير القرطبي ٢٥١/٥ وعزاه إلى غيرها، تمت.

[في الاستغفار أيضا]

وقد حث الله نبيه على الاستغفار فكيف بنا: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩] [غافر:٥٥]، ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر] ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٦﴾ [النساء].

ولما بعث الله محمداً ﷺ صاح إبليس وانطلق إلى تهامة، فقال يا جبريل: هل إليه سبيل؟ قال: لا، هذا النبي المعصوم، قال: فإلى أمته؟ قال: إنهم يستغفرون، فإذا استغفروا يغفر لهم، فخرج يُوَلْوِلُ.

وقال حذيفة: يا رسول الله؛ أحرقني لساني، قال: ((يا حُذَيْفَة؛ أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ، إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)) [تيسير المطالب ٣٥٠ - الاعتبار ٤٥٥ - الأمالي الخميسية ٣٠٩/١].

وقال علي عليه السلام: (عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ الْاِسْتِغْفَارُ).

وقال: (كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمُ الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالْاِسْتِغْفَارُ، قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال] انتهى.

فعليك بالاستغفار ففيه خير الدنيا والآخرة، وغفران الذنوب، قال هود عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود:٥٢] والقوة: الأموال والأولاد وغيرهما.

وقال نوح عليه السلام: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ

﴿أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [نوح].

وقال نبينا ﷺ: ((مَنْ لَزِمَ الْاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ))[تيسير المطالب ٣٤٩ - الأمالي الخميسية ١/٣٢٣].

وقال ﷺ: ((مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ أَرْبَعاً فَمُنِعَ أَرْبَعاً: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ الدُّعَاءَ فَمُنِعَ الْإِجَابَةَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ الْاسْتِغْفَارَ فَمُنِعَ الْمَغْفِرَةَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ [نوح] وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ التَّوْبَةَ فَمُنِعَ القَبُولَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:٢٥] وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ الشُّكْرَ فَمُنِعَ الزِّيَادَةَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧])). انتهى [تيسير المطالب ٣٣١].

قوله تعالى: ﴿۞لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾ [النساء:١١٤].

أي لا رضوان لله في كثيرٍ من تناجي الناس إلا نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ -أي عمل بِرٍّ- أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ لكن الشرط في حصول الأجر العظيم أن تكون هذه الثلاثة خالصة لوجه الله الكريم ولطلب مرضاته.

ودلت الآية على الترغيب في الأمر بالمعروف، والإصلاح بين الناس، وأكده تعالى بقوله: ﴿عَظِيمًا﴾ وأن النية شرط.

[ترك المراء والخوض فيما لا يعني]

وعنه ﷺ قال: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ يَبْلُغَ بِهَا مَا بَلَغَ، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ يَبْلُغَ بِهَا مَا بَلَغَ، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) [الأحكام ٤١٢/٢ - تيسير المطالب ٥٢٥].

وسئل ﷺ: أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: ((مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) [تيسير المطالب ٥٤٧].

وعنه ﷺ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيراً فِي زَمَانِهِ مُقْبِلاً عَلَى شَأْنِهِ حَافِظاً لِلِسَانِهِ، وَمَنْ حَسَبَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ)) [المصابيح في السيرة ١٣٤- تيسير المطالب ٤٦٢].

وعنه ﷺ: ((أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ)) [تيسير المطالب ٤٤٩].

وقال علي عليه السلام: (مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ الْمِرَاءَ).

وعنه ﷺ: ((إِنَّ أَعْجَبَ النَّاسِ إِلَيَّ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ وَيَعْمُرُ مَالَهُ وَيَحْفَظُ دِينَهُ وَيَعْتَزِلُ النَّاسَ)) [تيسير المطالب ٢٣٣ - الاعتبار ١٠٤].

وقال علي عليه السلام: (الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ).

وقال: (مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ الْخِيرَةُ بِيَدِهِ)، وقال: (اللَّجَاجَةُ تَفُلُّ الرَّأْيَ).

وقال عليه السلام: (طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ، وَطَابَ كَسْبُهُ، وَصَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ،

وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ) قال الرضي: ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال علي عليه السلام: (اللِّسَانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ).

وقال عليه السلام: (إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ).

وقال: (إِذَا ازْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ).

وقال عليه السلام: (الْحِدَّةُ[1] ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ).

وقال عليه السلام: (كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللهِ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ، فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ، وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً، فَإِنْ قَالَ بَزَّ[2] الْقَائِلِينَ وَنَقَعَ غَلِيلَ[3] السَّائِلِينَ، وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً! فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ عَادٍ، وَصِلُّ وَادٍ[4]، لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً[5]، وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَداً عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ، وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ، وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ، وَكَانَ إِنْ غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ، وَكَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ.

---

(١) قال في مختار الصحاح: الْحِدَّةُ: مَا يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنَ النَّزَقِ وَالْغَضَبِ، تمت، هامش نسخة.

(٢) أي غلبهم وفاقهم، تمت هامش الأصل.

(٣) أي سكن حرارة عطشهم، تمت هامش الأصل.

(٤) وهي الحية التي لا تنفع معها الرقية، تمت هامش الأصل.

(٥) أي لا يبين حجة إلا في موضعها فيكون حاكما فيه، تمت هامش الأصل.

فَعَلَيْكُمْ بِهذِهِ الْخَلَائِقِ فَالْزَمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ) انتهى.

وقال عليه السلام: (مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ، وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فذَلِكَ الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ. وَالْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ).

وقال عليه السلام: (الْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً).

وقال: (فِي الصَّمْتِ سَلَامَةٌ مِنَ النَّدَامَةِ، وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَلَا تُحَدِّثَنَّ إِلَّا عَنْ ثِقَةٍ فَتَكُونَ كَذَّاباً وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ، مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ[1]).

وقال عليه السلام: (إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلَامِ قَذِراً، وَأَنْ تَكُونَ مُضْحِكاً؛ وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ).

وقال عليه السلام: (قَلْبُ الْأَحْمَقِ فِي فِيهِ، وَلِسَانُ الْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ).

وقال عليه السلام: (مَا مَزَحَ امْرُؤٌ مَزْحَةً إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً).

وقال: (عَلَامَةُ الْإِيمَانِ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وَأَنْ لَا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عِلْمِكَ).

وقال عليه السلام: (لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ).

---

(١) الإهجار: الإفحاش في المنطق والخنا، تمت، هامش الأصل.

وقال: (بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْـهَيْبَةُ) وقال: (الْأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ).

وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ اثْنَيْنِ وَلَجَ الْجَنَّةَ، ، مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ،))[الأحكام ٤١٢/٢ - تيسير المطالب ٥٢٤] قالها ثلاثاً.

وقال علي عليه السلام للحارث: (وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ، فَكَفَى بِذلِكَ كَذِباً، وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ، فَكَفَى بِذلِكَ جَهْلاً).

وعن علي عليه السلام في وصيته للحسنين: (أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى اللهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ﷺ يَقُولُ: ((صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ الصِّيَامِ)) [النهج - والحديث في تيسير المطالب ١٢٨ - أمالي أحمد بن عيسى - الاعتبار ٣٣٨].

قوله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥﴾ [النساء:١٣٥]

المعنى: ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا، تقيمون شهاداتكم لوجه الله ولو كانت على أنفسكم، وذلك بالإقرار والشهادة على الوالدين والأقربين، فقوموا بالعدل والإنصاف لكل أحدٍ وعلى كل أحدٍ.

﴿إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا﴾ فلا تمنع الشهادةَ عليه لغناه طلباً لرضاه، ﴿أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا تمنعها ترحماً عليه، الله أولى بالنظر لهما وإرادة مصلحتهما، ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ ولكن اتبعوا أمر الله؛ لِئَلَّا تعدلوا عن طريق الحق فتسلكوا طريق الباطل، أو فلا تتبعوا الهوى كراهةَ أن تعدلوا بين الناس، فقوله تعالى: ﴿أَن

﴿تَعْدِلُوا۟﴾ يحتمل العدل والعدول كما ذكرنا، ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ ألستتكم فلا تفصحوا بها أو تحرفوا، أو مأخوذ من لَيِّ الغريم، أو تلووا أعناقكم عمّا أمركم الله، أو تعرضوا عن إقامتها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم، فهو تهديد ووعيد.

دلت هذه الآية الكريمة على وجوب الإنصاف من النفس وقول الحق، وعلى تحريم الشهادة بغير الحق، والإعراض عن أداء شهادة الحق، فيأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه.

[في الإنصاف والقول بالحق]

وعنه ﷺ: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتُدْرِكُهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ)) [تيسير المطالب ٢٣٣].

وعنه ﷺ: ((لَا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا إِذَا قَالَتْ صَدَقَتْ، وَإِذَا حَكَمَتْ عَدَلَتْ، وَإِذَا اسْتُرْحِمَتْ رَحِمَتْ)) [تيسير المطالب ٤٢٩].

وقال ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً)) [تيسير المطالب ٤٣٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا تَنْصِفُنِي؛ أَتَحَبَّبُ إِلَيْكَ بِالنِّعَمِ وَتَتَمَقَّتُ إِلَيَّ بِالْمَعَاصِي، خَيْرِي إِلَيْكَ مُنْزَلٌ وَشَرُّكَ إِلَيَّ صَاعِدٌ، وَلَا يَزَالُ مَلَكٌ كَرِيمٌ يَأْتِينِي عَنْكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بِعَمَلٍ قَبِيحٍ، يَا ابْنَ آدَمَ؛ لَوْ سَمِعْتَ وَصْفَكَ مِنْ غَيْرِكَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَنِ الْمَوْصُوفُ لَسَارَعْتَ إِلَى مَقْتِهِ))

[تيسير المطالب ٥١٤ - حقائق المعرفة ٢٤١ - صحيفة الرضا].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ)) [تيسير المطالب ٥١٥].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((اضْمَنُوا لِي سَتَّةً أَضْمَنُ لَكُمُ الْجَنَّةَ: لَا تَظْلِمُوا عِنْدَ قِسْمَةِ مَوَارِيثِكُمْ، وَلَا تَغُلُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَلَا تَجْبُنُوا عَنْ قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَامْنَعُوا ظَالِمَكُمْ مِنْ مَظْلُومِكُمْ، وَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَحْمِلُوا عَلَى اللهِ ذُنُوبَكُمْ)) [تيسير المطالب ٥٣٥ - حقائق المعرفة ١٧١].

وقال علي عليه السلام في وصيته للحسن عليه السلام: (يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ مَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ).

وسئل علي عليه السلام: أَيُّمَا أَفْضَلُ الْعَدْلُ أَوِ الْجُودُ؟ فقال: (الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا عَنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا).

قوله تعالى: ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء:١٤٨-١٤٩]

[في الإنصاف في الخصومة، والنهي عن الجهر بالسوء]

أي لا يحب الله ذم الغير بإظهار فضائحه وما فعل من القبيح؛ بل يُسْتَرُ عليه، ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾ فلا يعاقب على الشكاء من ظالمه، ولا يعاقب على استنصاره لنفسه، قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى] وكذا يدخل في عموم الآية أنه سبحانه لا يحب النطق بالقبيح مِنْ سَبٍّ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ ذلك، أو النطق بكلمة الكفر وغير ذلك؛ إلا من اضطر إلى ذلك، كفعل عمار؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

وقال علي عليه السلام لأصحابه: (أَمَا إِنَّهُ سِيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ ... إلى قوله: وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي؛ فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَبَرَّأُوا مِنِّي .. الخ).

ثم حث تعالى على العفو وأنْ لا يَجهر أحدٌ لأحدٍ بسوء وإن كان على وجه الإنتصار حثّاً على الأحب والأفضل فقال: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ ويدخل في عمومه إظهار العفو ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ ويدخل فيه كتمان العفو، ثم قال تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ نالكم من الغير وخصه بالذكر -وقد دخل في الخير- تنبيهاً على أن مكان العفو أفضل، وكان الدليل على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ أي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا مع ضعفكم بسنته.

عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَا يَكُونُ الْمَرْءُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ وَصُولاً، وَلَا يَكُونُ مُسْلِماً حَتَّى يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ، وَلَا يَكُونُ عَالِماً حَتَّى يَكُونَ بِالْعِلْمِ عَامِلاً، وَلَا يَكُونُ عَابِداً حَتَّى يَكُونَ وَرِعاً، وَلَا يَكُونُ وَرِعاً حَتَّى يَكُونَ زَاهِداً، أَطَالَ الصَّمْتَ وَأَقَلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ)) [تيسير المطالب ٢٣١].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنَّ السُّوءَ إِذَا فَشَا فِي الأَرْضِ فَلَمْ يُتَنَاهَ عَنْهُ أَرْسَلَ اللهُ بَأْسَهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ)) قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ؟! قَالَ: ((نَعَمْ؛ وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ ثُمَّ يَقْبِضُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، أَوْ إِلَى رِضْوَانِهِ وَمَغْفِرَتِهِ)) [تيسير المطالب ٥٢٨].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهُ صلى الله عليه وآله وسلم: ((أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ الْعَظِيمِ، وَأَنْ تَمُوتَ خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، خَمِيصَ الْبَطْنِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، كَافًّا عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، مُلَازِمًا لِجَمَاعَتِهِمْ، وَلَا تَدَعَنَّ عَلَيْكَ دَيْناً فَيَنْقُصَ مِنْ حَسَنَاتِكَ)) [تيسير المطالب ٥٣٧].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةُ مَجَالِسَ: سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ، وَانْتِهَاكُ فَرْجٍ حَرَامٍ، أَوِ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ)) [تيسير المطالب ٥٣٨].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الْاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ)) [تيسير المطالب ٥٥٠].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ بَهَتَ مُؤْمِناً أَوْ مُؤْمِنَةً، أَوْ قَالَ مَا لَيْسَ فِيهِ أَقَامَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى تَلٍّ مِنَ النَّارِ)) [تيسير المطالب ٥٥١ - صحيفة الرضا].

وقال علي عليه السلام: (مَن بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ

أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ)، (مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَأَسْأَلَ اللهَ الْعَافِيَةَ).

وفي حديثه عليه السلام: (إنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَماً) يريد بالقحم المهالك.

وقَالَ رَجُلٌ من الْخَوَارِجِ لِعَلِيٍّ عليه السلام: قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِراً مَا أَفْقَهَهُ، فَوَثَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ. فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: (رُوَيْداً؛ إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾ [المائدة:٨]

المعنى: قوامين لله بجميع حقوقه من الأمر بالمعروف والعمل به، والنهي عن المنكر وتجنبه، شهداء بالعدل مع العدو والصديق، ولا يحملنكم بُغْضُ قومٍ على أن لا تعدلوا فتنالوا منهم لعداوتهم ولا تنصفوا، اعدلوا في الولي والعدو، وهو - أي العدل- أقرب للتقوى، أي إلى أن تكونوا متقين.

دلت على وجوب القيام لله بالحق والشهادة بالعدل لمن كان، والعدل في الحكم والفتيا.

[في الإنصاف أيضا والشهادة بالعدل]

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ خِصَالَ الْإِيمَانِ: مَنِ الَّذِي إِذَا قَدَرَ لَمْ يَتَعَاطَ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ، وَمَنِ الَّذِي إِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ، وَمَنِ الَّذِي إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ مِنَ الْحَقِّ)) [الأحكام٢/٣٧٨ - تيسير المطالب ٢٢٩ - شفاء الأوام].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ فِيمَا مَضَى وَمَنْ أَسَاءَ

فِيمَا بَقِيَ أُخِذَ فِيمَا مَضَى وَبَقِي)) [تيسير المطالب ٤٣٨].

وعنه ﷺ: ((الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَن أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ)) [تيسير المطالب ٤٣٧].

وعنه ﷺ: ((لَا تَدَعْ شَيْئاً اتِّقَاءً لِلَّهِ إِلَّا أَعْطَاكَ اللهُ خَيْراً مِنْهُ)) [تيسير المطالب ٤٣٢].

وقال ﷺ: ((اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: ((لَيْسَ ذَلِكَ؛ وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)) [تيسير المطالب ٤٣٢].

وعنه ﷺ: ((مَا تَرَكَ عَبْدٌ شَيْئاً مِنْ خَوْفِ اللهِ تَعَالَى أَوْ رَجَائِهِ إِلَّا أَعْقَبَهُ اللهُ لَذَّةً يَجِدُ فَرْحَتَهَا فِي قَلْبِهِ وَيُبَدِّلُهُ بِهِ خَيْراً مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)) [تيسير المطالب ٤٣٦].

وعنه ﷺ: ((مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ)) [تيسير المطالب ٤٣٧].

وقال علي عليه السلام في عهده للأشتر: (أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ... إلى أن قال: وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ).

وقال عليه السلام: (بِالسِّيرَةِ الْعَادِلَةِ يُقْهَرُ الْمُنَاوِئُ).

وقال عليه السلام: (الْعَدْلُ الْإِنْصَافُ).

قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة:٧٨-٧٩]

قيل: إنَّ أهل أَيْلَةَ لما اعتدوا في السبت قال داود: اللهم العنهم، واجعلهم آية، فمُسخوا قردة، ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة لعنهم، فأصبحوا خنازير، وكانوا خمسة آلاف رجل، ذلك اللعن الذي كان سبب المسخ لأجل المعصية والاعتداء، ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ أي عن معاودته، فيحتمل أنه بمعنى الانتهاء، أي كانوا لا يتناهون ويكفون عن المعصية إذا نُهُوا، ويحتمل أنه من النهي، أي لا ينهى بعضهم بعضاً، وهو قول الجمهور، لأن اللام للقسم كأنه قال: أقسم لبئس ما كانوا يفعلون، للتعجب من فعلهم مؤكداً ذلك بالقسم.

دلت هذه الآية على عظم معصية التارك للنهي عن المنكر، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣﴾[المائدة:٦٣] كان علماء أهل الإنجيل وأحبار اليهود أو الربانيين من اليهود وهم الزهاد منهم وأحبارهم الذين هم علماؤهم جُعِلُوا آثَمَ مِنْ مرتكبي المناكير، لأن كل عامل لا يسمى صانعاً حتى يتمكن فيه ويتدرب، فإذا فرط في الإنكار كان أشد حالاً من الْمُوَاقِعِ.

عن ابن عباس: هي أشد آية في القرآن.

وعن الضحاك: ما في القرآن آية أخوف عندي منها.

وعن النبي ﷺ أنه قال: ((لَا يَحِلُّ لِعَيْنٍ تَرَى اللَّهَ يُعْصَى فَتَطْرِفَ حَتَّى تُغَيِّرَ أَوْ تَنْتَقِلَ)) [الأحكام ٤٠٦/٢ - حقائق المعرفة ٣٥٣ - أمالي أحمد بن عيسى].

وعنه ﷺ أنه قال: ((لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا تَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا تَأْخُذُ عَلَى يَدِ ظَالِمٍ، وَلَا تُعِينُ الْمُحْسِنَ، وَلَا تَرُدُّ الْمُسِيءَ عَنْ إِسَاءَتِهِ)) [مسند الإمام زيد ٢٧٦].

وعنه ﷺ: ((لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمْ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ)) [مسند الإمام زيد ٢٧٦ - الأحكام ٣٧٥/٢ - تيسير المطالب ٤٠٣ - الأمالي الخميسية ٤٥/١ - أمالي أحمد بن عيسى].

وعنه ﷺ: ((لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَآهُ)) [تيسير المطالب ٤٠٣].

وعنه ﷺ: ((مَا مِنْ رَجُلٍ يُجَاوِرُ قَوْماً فَيَعْمَلُ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ بِالْمَعَاصِي فَلَا يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ)) [تيسير المطالب ٤٠٨].

وعنه ﷺ: ((مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ امْرَءًا مُسْلِماً فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ مُسْلِماً فِي مُوطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ)) [تيسير المطالب ٤٠٧].

وعنه ﷺ: ((مَن اغْتِيبَ عِنْدَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَنَصَرَهُ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرَكَ نُصْرَتَهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا خَذَلَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)) [تيسير المطالب ٤٠٩ - الاعتبار ٥٣٧].

وعنه ﷺ: ((مَنْ أَنْكَرَ الْمُنْكَرَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَنْكَرَ بِخَصْلَةٍ مِنَ الْحَقِّ، وَمَنْ أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ فَقَدْ أَنْكَرَ بِخَصْلَتَيْنِ مِنَ الْحَقِّ، وَمَنْ أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ فَقَدْ أَنْكَرَ بِالْحَقِّ كُلِّهِ)) [تيسير المطالب ٤١١].

وعن علي عليه السلام: (إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِارْتِكَابِهِمُ الْمَعَاصِي، ثُمَّ لَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَزَلَتْ بِهِمُ العُقُوبَاتُ، أَلَا فَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ، الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَدِّمُ أَجَلاً وَلَا يَدْفَعُ رِزْقًا) [تيسير المطالب ٤١٠].

وقال علي عليه السلام: (يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ نَبَغَ فِيهِمْ قَوْمٌ مُرَاءُونَ فَيَتَقَرَّأُونَ وَيَتَنَسَّكُونَ، لَا يُوجِبُونَ أَمْراً بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا نَهْياً عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا إِذَا أَمِنُوا الضَّرَرَ، يَطْلُبُونَ لِأَنْفُسِهِمُ الرُّخَصَ وَالْمَعَاذِيرَ، يَتْبَعُونَ زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ فِي نَفْسٍ وَلَا مَالٍ، فَلَوْ أَضَرَّتِ الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَسَائِرُ مَا يَعْمَلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ لَرَفَضُوهَا، وَقَدْ رَفَضُوا أَسْنَمَ الفَرَائِضِ وَأَشْرَفَهَا: الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَرِيضَةً عَظِيمَةً بِهَا الْتِآم الفَرَائِضُ، إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ سَبِيلُ الْأَنْبِيَاءِ وَمِنْهَاجُ الصَّالِحِينَ، فَرِيضَةٌ بِهَا تُقَامُ الفَرَائِضُ وَتَحِلُّ الْمَكَاسِبُ وَتُرَدُّ الْمَظَالِمُ، وَتُعْمَرُ الْأَرْضُ، وَيُنْتَصَفُ مِنَ الْأَعْدَاءِ، فَأَنْكِرُوا الْمُنْكَرَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَصُكُّوا بِهَا جِبَاهَهُمْ، وَلَا تَخَافُوا فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ).

قَالَ: (وَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ: إِنِّي مُعَذِّبٌ مِنَ قَوْمِكَ مِائَةَ أَلْفٍ، أَرْبَعِينَ أَلْفاً مِنْ شِرَارِهِمْ وَسِتِّينَ أَلْفاً مِنْ خِيَارِهِمْ، فَقَالَ: يَا رَبِّ؛ هَؤُلَاءِ الأَشْرَارُ فَمَا بَالُ الْأَخْيَارِ؟ قَالَ: دَاهَنُوا أَهْلَ الْمَعَاصِي وَلَمْ يَغْضَبُوا لِغَضَبِي) [تيسير المطالب ٤٠٤].

وعن النبي ﷺ: ((قَالَ مُوسَى بنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

يَا رَبِّ؛ مَنْ أَهْلُكَ الَّذِينَ تُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ ؟ قَالَ: فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: الطَّاهِرَةُ قُلُوبُهُمْ، البَرِيئَةُ أَيْدِيهِمْ، الَّذِينِ يَكْتَفُونَ بِطَاعَتِي كَمَا يَكْتَفِي الصَّبِيُّ الصَّغِيرُ بِاللَّبَنِ، الَّذِينَ يَأْوُونَ إِلَى مَسَاجِدِي كَمَا تَأْوِي الطُّيُورُ إِلَى أَوْكَارِهَا، الَّذِين يَغْضَبُونَ لِمَحَارِمِي إِذَا اسْتُحِلَّتْ كَالنَّمِرِ إِذَا طُرِدَ)) [تيسير المطالب ٥٥٩ - كتاب الذكر].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام:٦٨-٦٩]

﴿يَخُوضُونَ﴾ أي يجولون ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي القرآن ودلائلنا بالاستهزاء فلا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وقوله: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي أنساك بعد نَهْينا إياك عن الجلوس، فلا تقعد بعد أن تذكر نهينا لك، أو لا تقعد بعد أن ذكرناك بالوحي قُبْحَها، أو لا تقعد بعد أن تذكرهم بالوعظ، وعليك القيام بعد ذلك.

دلت الآية الكريمة على وجوب الإعراض عن مجالسة المستهزئين بآيات الله أو بحججه أو برسوله، وجواز مجالسة الكفار مع عدم الخوض، وكذلك تدل على المنع من مجالسة الفسقة إذا أظهروا المنكرات، ودلت أن الناسي مرفوع عنه الحرج.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾ أي ليس على المجالسين وهم متقون من حساب الخائضين شيء، ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ أي عليهم أن يُذَكِّروهم بوعد الله

ووعيده، ووعظهم، أو القيام عنهم، وإظهار الكراهة لفعلهم، لعلهم يتقون -مالا يتقوه- الخائضين، أو لعل الخائضين يتقون الخوض، فعليك بترك مجالسة العاصين، ومسامرة من هو متضمخ بالمعاصي، لا يرعوي عن الخوض في آيات الله وأعراض العلماء والصلحاء، بل ذَكِّرْهم إن أمكن، واتركهم بعد، إلا أنْ يتركوا، قال تعالى: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠] ومن خاض في أعراض العلماء لأجل ما علموا أو عملوا من آيات الله فحكمه كذلك، وقد قال علي عليه السلام: (النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا).

ونسأل الله أن يعصمني وإخواني عن الخوض في آيات الله وفي أعراض الأئمة والعلماء، وأن يرزقنا معرفة حقهم وحق سائر المؤمنين، وأن يقينا شرور أنفسنا الأمارة بالسوء، الطالبة للعلو، المستقبحة من الغير ما لا تستقبحه منها.

وما أحسن قول علي عليه السلام -وأنَّى لهذه النفس التيقظ له والانتباه لمحاسنه- قال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه: (لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَيُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ، يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِياً، يَعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ، وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ، إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرّاً، وإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ، وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ، يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ،

وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ، إِنْ اسْتَغْنَى بَطِرَ وَفُتِنَ، وَإِنِ افْتَقَرَ قَنِطَ وَوَهَنَ، يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ، وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ، وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ، يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَلَا يَعْتَبِرُ، وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَّعِظُ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ، وَمِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ، يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى، وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى، يَرَى الْغُنْمَ مَغْرَماً، وَالْغُرْمَ مَغْنَماً، يَخْشَى الْمَوْتَ وَلَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ، يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ، وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ، اللَّهْوُ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ، يُرْشِدُ غَيْرَهُ، وَيُغْوِي نَفْسَهُ، فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي، وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي، وَيَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ، وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ). انتهى.

وعن النبي ﷺ أنه قال: ((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَمِثْلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ كَمِثْلِ صَاحِبِ الكِيرِ إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ)) [تيسير المطالب ٥٦٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعام:١٠٨]

أي لا تسبوا الذين يعبدون وهي الأصنام فيسبوا من أمَرَكم بعيب الأصنام ومن يعبدها، أو لا تسبوا الأصنام فيحملهم الغيظ والجهل على أن يسبوا من تعبدونه كما سببتم ما يعبدونه عدواناً وتجاوزاً عن الحد بغير علم.

وفي هذه الآية أدب عظيم ودلالة على أن على المحق أن يكف عن سب السفهاء لئلا يسارعوا إلى سبه مقابلة له؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية، ولا

يسب ظالماً عند ولده لخشية أن يسب والده الصالح فهو منكر؛ لأدائه إلى منكر، ولا يجوز مسابة المؤمن بالأولى لأنه سب لمؤمن وأذية لمؤمن.

وعنه ﷺ: ((لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تُفَرِّغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي؛ وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالُ الإِزَارِ مِنَ الْخُيَلَاءِ؛ فَالْخُيَلَاءُ لَا يُحِبُّهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنِ امْرُؤٌ سَبَّكَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تَسُبُّهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ فَإِنَّ أَجْرَهُ لَكَ وَوَبَالَهُ عَلَى مَنْ قَالَهُ)) [تيسير المطالب ٥٢٢].

وقال علي عليه السلام: (مَا مِنْ يَوْمٍ يَمُرُّ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا يُنَادِي: يَا ابْنَ آدَمَ؛ اعْمَلْ فِي الْيَوْمِ أَشْهَدُ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاصْحَبِ النَّاسَ بِأَيِّ خُلُقٍ شِئْتَ يَصْحَبُوكَ بِمِثْلِهِ) [مسند الإمام زيد ٢٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ١٢٠﴾ [الأنعام: ١٢٠]

أي اتركوا علانيته وسره، وقيل: ظاهره أفعال الجوارح، وباطنه أفعال القلوب، وحَمْلُها على الكل أولى للعموم، و ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾ أي يكسبون.

وعنه ﷺ: ((ابْنَ آدَمَ؛ اكْفُلْ لِي بِثَلَاثٍ أَكْفُلُ لَكَ بِالْجَنَّةِ: إِنْ قَنِعْتَ بِمَا رَزَقَكَ اللهُ فَأَنْتَ أَغْنَى النَّاسِ، وَإِنِ انْتَهَيْتَ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ فَأَنْتَ أَوْرَعُ النَّاسِ، وَإِنْ عَمِلْتَ بِمَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ فَأَنْتَ أَعْبَدُ النَّاسِ)) [تيسير المطالب ٥١٠].

وقال رسول الله ﷺ: ((لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِناً حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ شَرِيكَهُ وَالْسَّيِّدِ عَبْدَهُ، وَيَعْلَمُ مَا مَطْعَمُهُ، وَمَا مَشْرَبُهُ، وَمَا مَلْبَسُهُ، أَمِنْ حَلَالٍ ذَلِكَ، أَوْ مِنْ حَرَامٍ)) [تيسير المطالب ٥١١].

وعنه ﷺ: ((يَا عَلِيُّ؛ حُبُّ الدُّنْيَا سُلْوَةٌ عَنِ الْآخِرَةِ، وَحُبُّ الآخِرَةِ سُلْوَةٌ عَنِ الدُّنْيَا، وَحُبُّ طَاعَةِ اللهِ أَمَانٌ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَحُبُّ مَعْصِيَةِ اللهِ ذَهَابٌ عَنْ طَاعَتِهِ. يَا عَلِيُّ؛ إِذَا حَزَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فَإِنَّهُ كَنْزٌ)) [تيسير المطالب ٥٠٩].

وعنه ﷺ: ((الْإِسْلَامُ لِبَاسُهُ الْحَيَاءُ، وَزِينَتُهُ الْوَفَاءُ، وَمُرُوءَتُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَعِمَادُهُ الْوَرَعُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ وَأَسَاسُ الْإِسْلَامِ حُبُّنَا أَهْلِ الْبَيْتِ)) [تيسير المطالب ٥١٢].

وعنه ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَخْلُو مَعَ امْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَهُ بِمَحْرَمٍ؛ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، إِلَّا امْرَأَةٌ يَحْرُمُ عَلَيْهِ نِكَاحُهَا مِنْ نَسَبٍ أَوْ صِهْرٍ)) [تيسير المطالب ٥١٣].

وعنه ﷺ: ((مَنِ اسْتَلْقَى عَلَى الْمَأْثُورِ، وَلَبِسَ الْمَشْهُورَ، وَرَكِبَ الْمَنْظُورَ، وَأَكَلَ الشَّهَوَاتِ لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ أَبَداً)) [تيسير المطالب ٥١٤].

وعنه ﷺ: ((الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْرِفُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ تَرَكَهُنَّ إِسْتَبْرَأَ مِنَ الدَّنِيَّةِ، وَمَنْ وَاقَعَهُنَّ وَاقَعَ الْحَرَامَ)) [تيسير المطالب ٥١٥ - أمالي أحمد بن عيسى - أصول الأحكام ٨٤٧/٢].

وعنه ﷺ: ((إِذَا ظَهَرَ الْقَوْلُ، وَاخْتزنَ الْعَمَلُ، وَأُتْلِفَتِ الْأَنْفُسُ، وَاخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ، وَتَقَاطَعَتِ الْأَرْحَامُ هُنَالِكَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ)) [تيسير المطالب ٥١٥].

وعنه ﷺ: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ

عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) [تيسير المطالب ٥١٦].

وعنه ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا)) [تيسير المطالب ٥١٦].

وعنه ﷺ: ((الْمَسْأَلَةُ لَا تَحِلُّ إِلَّا مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً(١) عَنْ قَوْمِهِ إِرَادَةَ الإِصْلَاحِ فَسَأَلَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَمْسَكَ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ فَسَأَلَ حَتَّى إِذَا أَصَابَ قَوَاماً أَوْ سَدَاداً أَمْسَكَ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَسَأَلَ حَتَّى إِذَا أَصَابَ قَوَاماً أَوْ سَدَاداً أَمْسَكَ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْمَسْأَلَةِ سُحْتٌ)) يرددها ثلاثاً [تيسير المطالب ٥١٨].

وعنه ﷺ: ((مَنْ آوَى ضَالَّةً فَهُوَ ضَالٌّ مَا لَمْ يُعَرِّفْهَا)) [تيسير المطالب ٥٢١ - أصول الأحكام ١٣١٣/٢].

وعنه ﷺ: ((ثَلَاثٌ أَخَافُهُنَّ عَلَى أُمَّتِي: الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ، وَمُضِلَّاتُ الْفِتَنِ، وَشَهْوَةُ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ)) [تيسير المطالب ٥٢٦ - صحيفة الرضا].

وعنه ﷺ: ((مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ فِي الْآخِرَةِ وَأَلْبَسَهُ ثَوْباً مِنْ نَارٍ)) [تيسير المطالب ٥٢٧].

وعنه ﷺ في قول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦] قال: ((يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى؛ فَلَا يُشْرَكُ مَعِي غَيْرِي، وَأَنَا أَهْلٌ لِمَنِ اتَّقَى أَنْ يُشْرِكَ بِي أَنْ أَغْفِرَ لَهُ)) [تيسير المطالب ٥٢٨].

---

(١) الحَمَالَةُ الغُرْم تُحْمَلُ عَن الْقَوْم، تمت، (لسان العرب ١١/١٨٠).

وعنه ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ)) [تيسير المطالب ٥٢٩].

وسئل ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: ((أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قِيلَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قِيلَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِي حَلِيلَةَ جَارِكَ)) [تيسير المطالب ٥٣١ - شفاء الأوام].

وعنه ﷺ: ((لَا يُحِبُّ اللهُ الْشَّيْخَ الْجَهُولَ وَلَا الغَنِيَّ الظَّلُومَ وَلَا السَّائِلَ الْمُخْتَالَ)) [تيسير المطالب ٥٣٢].

وعنه ﷺ: ((مَنِ اجْتَنَبَ مِنَ الرِّجَالِ أَرْبَعاً فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ: الدِّمَاءُ وَالأَمْوَالُ وَالفُرُوجُ وَالأَشْرِبَةُ، وَمِنَ النِّسَاءِ: إِذَا صَلَّتْ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَأَحْصَنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا فُتِّحَتْ لَهَا أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ تَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَتْ)) [تيسير المطالب ٥٣٤ - حقائق المعرفة ٢٩٥].

وعنه ﷺ: ((لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحَسَنَّا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى أَنَّهُ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا)) [تيسير المطالب ٥٣٤ - حقائق المعرفة ٥٥].

وعنه ﷺ: ((لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ كُلِّ مَظْلُمَةٍ؛ إِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا الْحَسَنَاتُ وَإِلَّا السَّيِّئَاتُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ)) [تيسير المطالب ٥٣٥].

وعنه ﷺ: ((مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ، وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ؛ فَهُوَ مِمَّنْ كَمُلَتْ مُرُوءَتُهُ وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ، وَوَجَبَ أَجْرُهُ، وَحَرُمَتْ غِيبَتُهُ)) [تيسير المطالب٥٣٦ - صحيفة الرضا].

وعنه ﷺ: ((مَنْ ظَلَمَ مِنْكُمْ مَظْلُمَةً ثُمَّ لَمْ يُرْضِ صَاحِبَهَا مِنْهَا؛ اقْتَصَّ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) [تيسير المطالب ٥٣٧].

وقال ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّهُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) [تيسير المطالب ٥٣٦].

وقال ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّهُ يُخْرِبُ قُلُوبَكُمْ كُمَا تُخْرَبُ الدُّورُ)) [تيسير المطالب٥٣٧ - صحيفة الرضا].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لي: ((أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ الْعَظِيمِ، وَأَنْ تَمُوتَ خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، خَمِيصَ الْبَطْنِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، كَافًّا عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، مُلَازِمًا لِجَمَاعَتِهِمْ، وَلَا تَدَعَنَّ عَلَيْكَ دَيْناً فَيَنْقُصَ مِنْ حَسَنَاتِكَ)) [تيسير المطالب ٥٣٧].

وعنه ﷺ: ((لَرَدُّ دَانِقٍ(١) مِنْ حَرَامٍ يَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ سَبْعِينَ حَجَّةً مَبْرُورَةً)) [تيسير المطالب ٤٢٠، ٥٣٨ - شفاء الأوام].

وعن عبد الله بن مسعود قال: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ، وَالوَاشِمَةَ، وَالْمَوْشُومَةَ، وَالْمُحَلِّلَ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ، وَمَانِعَ الصَّدَقَةِ، وَنهَى عَنِ النَّوْحِ، وَلَمْ يَلْعَنْ[تيسير المطالب ٥٣٩ - شفاء الأوام].

وقال واثلة: يا رسول الله؛ ما العصبية؟ قال: ((أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ)) [تيسير المطالب ٥٤٠].

وعنه ﷺ: ((مَنِ اسْتَذَلَّ مُؤْمِناً أَوْ حَقَّرَهُ لِفَقْرِهِ أَوْ قِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ شَهَّرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ يَفْضَحُهُ)) [تيسير المطالب ٥٤٨ - صحيفة الرضا].

وعنه ﷺ: ((يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَرَزَ لِمُحَارَبَتِي،

(١) الدَّانِقُ: سُدُسُ الدِّرْهَمِ، تمت، هامش الأصل.

وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ)) [تيسير المطالب ٥٤٩ - ومثله في الأمالي الخميسية ٢٨١/٢].

وقال ﷺ: ((إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ)) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ هَذَا الْقَاتِلُ؛ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: ((إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ)) [تيسير المطالب ٥٥٢ - الأمالي الخميسية ٤٨/١ - تخريج الشافي ٤٢/٣].

وقال علي عليه السلام: (لَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ، وَلَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلَا كَرَمَ كَالتَّقْوَى، وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ، وَلَا قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ، وَلَا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا رِبْحَ كَالثَّوَابِ، وَلَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ، وَلَا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ، وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَلَا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ، وَلَا حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ، وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ، وَلَا كَنْزَ كَالْحِكْمَةِ، وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ).

(إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلَاحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خِزْيَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ! وَإِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ).

وقال عليه السلام: (كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ! وَمَا ابْتَلَى اللهُ أَحَداً بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ) [تاريخ اليعقوبي٢٠٦/٢، وهو في النهج].

وقال عليه السلام: (مَنْ قَصَّرَ فِي الْعَمَلِ ابْتُلِيَ بِالْهَمِّ، وَلَا حَاجَةَ للهِ فِيمَنْ لَيْسَ للهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ حَقٌّ وَنَصِيبٌ).

وقال عليه السلام: (مَنْ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ).

وقال عليه السلام: (الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلَىٰ كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ: إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ، وَإِثْمُ الرِّضَىٰ بِهِ).

وقال عليه السلام: (لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ)، (تَرْكُ الذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ) (احْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ)، (مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً).

وقال عليه السلام: (مَنْ أَصْبَحَ عَلَىٰ الدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللهِ سَاخِطاً، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ، وَمَنْ أَتَىٰ غَنِيّاً فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللهِ هُزُواً، وَمَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْتَاطَ[1] قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ: هَمٍّ لَا يُغِبُّهُ[2]، وَحِرْصٍ لَا يَتْرُكُهُ، وَأَمَلٍ لَا يُدْرِكُهُ)، (كَفَىٰ بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً، وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً).

وقال عليه السلام: (اتَّقِ اللهَ بَعْضَ التُّقَىٰ وَإِنْ قَلَّ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سِتْراً وَإِنْ رَقَّ).

وقال عليه السلام: (الْجَاهِلُ الْمُتَعَلِّمُ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ[3] شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ [الْمُتَعَنِّتِ]).

وقال عليه السلام: (اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ فِي الْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ)، (أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ).

---

(١) إِلْتَاطَ: أي الْتَصَقَ، تمت، هامش الأصل.

(٢) لا يُغِبُّهُ: أيْ لَا يَأْخُذُهُ غِبًّا بَلْ يُلَازِمُهُ، تمت، هامش الأصل. وقال في النهاية (٣/٣٣٦): الْغِبُّ مِنْ أَوْرَادِ الإِبِلِ: أنْ تَرِدَ الْمَاءَ يَوماً وتَدَعَهُ يَوْمًا ثُمَّ تَعُودَ، ومنه: ((زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً)).تمت.

(٣) التعسف: الأخذ على غير طريق، تمت، هامش الأصل.

وقال عليه السلام: (أَشدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ).

وقال: (مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ).

(أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ).

وقال عليه السلام: (لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

(احْذَرْ أَنْ يَرَاكَ اللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ، [فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ] وَإِذَا ضَعُفْتَ فاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ).

وقال عليه السلام:

احْــزَنْ عَــلَى أَنَّــكَ لَا تَحْــزَنْ وَلَا تُسِئْ إِنْ كُنْـتَ لَا تُحْسِـنْ

وَاضْعُفْ عَنِ الشَّرِّ كَمَـا تَـدَّعِي ضَعْفاً عَنِ الْخَيْرِ وَقَدْ يُمْكِـنْ

وقال عليه السلام:(مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مَحْقُورٌ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ. أَلَا وإِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْفَاقَةَ، وَأَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ، وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ.

أَلَا وَإِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ الْمَالِ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ).

قوله تعالى: ﴿۞قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣]

قال في الكشاف: عن ابن عباس: هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب، وقيل: إنهن أم الكتاب، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.

وعن كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة، انتهى.

المعنى: ﴿تَعَالَوْاْ﴾: أي أقبلوا. ﴿أَتْلُ﴾: أي أَقْرَأُ. ﴿أَلَّا﴾ أن لا: يحتمل أن تكون (أن) مفسرة لما في التلاوة من معنى القول، و(لا): ناهية؛ ليصح عطف الإنشاء على الإنشاء، ويحتمل أن تكون (لَا) زائدة.

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على إحدى عشرة نكتة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ فيلزم من ذلك وجوب إخلاص النية له تعالى، وأن لا يتعلق بفعل العبادة غرض سوى فعلها لله تعالى.

وعنه ﷺ: «لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طَهُورٍ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ، وَلَا

عَمَلاً فِي رِيَاءٍ)) [تيسير المطالب ٥٥٦ - الأمالي الخميسية ٣١٠/٢ - ومثله في مسند الإمام زيد ٧٠ - الأحكام ٤٣/١ - أمالي أحمد بن عيسى].

وقال علي عليه السلام: (إِنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْداً ـ وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا، لَاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ، أَوْ يُقِرَّ[1] بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ). انتهى.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ والمراد وأحسنوا بالوالدين إحساناً، وهذا يدل على رحمة الله للوالدين؛ إذ أمر بالإحسان إليهما؛ إذ ليس أحدٌ أحق بالإحسان منهما، لأن الوالد شفيق على ولده، ويكون عنده بمنزلة كبده، فأراد الله من عباده الرحمة للوالدين بما فعلا من الجميل والإحسان، وكفلا بتعب النفوس والأبدان.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ والإملاق: الفقر، أي من خوفه. وعن عبد الله سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي الذنب أعظم؟ قال: ((أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ..)) الخبر [تيسير المطالب ٥٣١ - شفاء الأوام].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يَعُرَّ، وبنصب (غَيْرَهُ) على أنه مفعول لـ (يعر) ولا يستقيم المعنى إلا بذلك، وقد لمح له ابن أبي الحديد في غضون شرحه، وهو مأخوذ من عرَّهُ بِشَرٍّ، أي لطخه به وعابه، ذكره في القاموس، ولا يستقيم معناها بالقاف من الإقرار، ولو كان رواية الإمام يحيى في الديباج ورواية غيره، فمعناها على ذلك ضعيف جدًّا، وهذا بعد البحث والتحقيق المُضْني، فتأمل ترشد، تمت، إملاء سيدي أحمد حسن أبو علي حفظه الله.

ثم قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وهذا ضمان جميل من الله سبحانه لأرزاق عباده، الكفيل والمكفول، فلا يهولنك مع ضمانه سبحانه كثرة الأولاد من ذكور وإناث، فلن يعدو أحداً منهم ما كتب له، ولن يموت حتى يستوفي رزقه، فعليك بالتوكل على الله في رزقك ورزق من تخلف، ولا تكترث؛ فكفى بإخبار الله وثيقة.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَن أمْسَى وَأَصْبَحَ وَالآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ جَعَلَ اللهُ الْغِنَى فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ أمْرَهُ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالدُنيا أَكْبَرَ هَمِّهِ جَعَلَ اللهُ الفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَشَتَّتَ عَلَيْهِ أمْرَهُ، وَلَمْ يَنَلْ مِنَ الْدُّنْيَا إِلَّا مَا قُسِمَ لَهُ)) [تيسير المطالب ٥٠٩ - ونحوه في الأمالي الخميسية ٢١٥/٢].

وعن علي عليه السلام: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ) [تيسير المطالب ٥٠٦ - وفي الاعتبار ٢٦١ عن رسول الله].

وقال عليه السلام: (النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلَانِ:

عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ، يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ، وَيأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ.

وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً، وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً، فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ اللهِ، لَا يَسْأَلُ اللهَ شَيْئاً فَيَمْنَعَهُ).

وقال عليه السلام: (اعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ - وإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ واشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ وقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ - أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، ولَمْ يَحُلْ بَيْنَ

الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وقِلَّةِ حِيلَتِهِ وبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَالْعَارِفُ لِهَذَا الْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ، والتَّارِكُ لَهُ الشَّاكُّ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغْلًا فِي مَضَرَّةٍ).

وقال عليه السلام: (الرِّزْقُ رِزْقَانِ: فرِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ! كَفَاكَ كُلُّ يَوْم مَا فِيهِ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ لِمَا لَيْسَ لَكَ، وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَلَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ).

وقال عليه السلام: (ارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللهِ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللهِ).

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ المراد: النهي عن كل قبيح على كل وجه، إذ هو عام لكل الفواحش ظاهرها وباطنها، والنهي عن قربها مبالغة في النهي عنها. قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥ﴾[الأنعام: ١٢٠].

وعن علي عليه السلام: (مَنْ سَرَّهُ الغِنَى بِلَا مَالٍ، وَالعِزُّ بِلَا سُلْطَانٍ، وَالْكَثْرَةُ بِلَا عَشِيرَةٍ؛ فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ) [تيسير المطالب ٥٠٥].

وعن علي عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ؛ الْمَوْتَةَ الْمَوْتَةَ، الوَحيةَ الوَحيةَ، لَا رَدَّةَ؛ سَعْادَةٌ أَوْ شَقَاوَةٌ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ بِالرُّوحِ وَالرَّاحَةِ لِأَهْلِ دَارِ الْحَيَوانِ الَّذِينَ كَانَ لَهَا سَعْيُهُمْ وَفِيهَا رَغْبَتُهُمْ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْوَيْلِ وَالْحَسْرَةِ وَالْكَرَّةِ الْخَاسِرَةِ لأَهْلِ دَارِ الغَرُورِ الَّذِينَ كَانَ لَهَا سَعْيُهُمْ وَفِيهَا رَغْبَتُهُمْ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ لَهُ وَجْهَانِ يُقْبِلُ بِوَاحِدٍ وَيُدْبِرُ بِآخَرَ، إِذَا رَأَى

بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ خَيْرَاً حَسِدَهُ، وَإِنِ ابْتُلِيَ خَذَلَهُ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ خُلِقَ لِلْعِبَادَةِ فَأَلْهَتْهُ الْعَاجِلَةُ عَنِ الْآجِلَةِ، فَزَالَتْ عَنْهُ العَاجِلَةُ وَشَقِيَ بِالْعَاقِبَةِ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاخْتَالَ، وَنَسِيَ الكَبِيرَ الْمُتَعَالِ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ بَغَى وَعَتَى وَنَسِيَ الْمَبْدَأَ وَالْمَعَادَ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ لَهُ هَمٌّ يُضِلُّهُ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ لَهُ رَغَبٌ يُذِلُّهُ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ لَهُ طَمَعٌ يَزِلُّهُ)) [تيسير المطالب ٢٦٠].

السادسة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.

وعنه ﷺ: ((مَنْ لَقِيَ اللهَ بِدَمٍ حَرَامٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ)) [تيسير المطالب ٥٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء:٩٣] وكفى بهذه الآية زجراً لمن تذكر.

وعنه ﷺ: ((قِتَالُ الْمُسْلِمِ دُونَ مَالِهِ شَهَادَةٌ)) [تيسير المطالب ٥٣٢].

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي: الخصلة التي هي أحسن وهي حفظه وتثميره لحتى يبلغ رشده، وخص مال اليتيم وإن كان مال غيره في التحريم بمثابته لأن الطمع لقلة مراعيه أقوى، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء:١٠]، كفى بهذه الآية نهياً وزجراً وتخويفاً عن مال اليتيم.

وقال علي عليه السلام: (ظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ).

الثامنة والتاسعة: قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ يعني بالعدل، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ

﴿أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين:١-٣] وكفى بهذه الآية زجراً عن بخس الكيل والميزان.

وعن علي عليه السلام أنه قام في سوق الكوفة على دابته فنادى ثلاثا: (يَا مَعْشَرَ النَّاسِ، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهُ وَصِيَّةُ اللهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ، وَزِنُوا بِالْقُسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ، وَلَا تَغُشُّوا هَذِهِ الفِضَّةَ الْجَيِّدَةَ بِالزِّئْبَقِ وَلَا بِالكُحْلِ فَتَكُونُوا غَداً مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) [تيسير المطالب ٢٩٤ - أمالي أحمد بن عيسى - الحدائق الوردية].

ثم قال تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لأن المحافظة على العدل لا زيادة ولا نقص فيهما حرج، فأمر بالوسع وما عداه مغفور، فسبحانه ما ألطفه.

العاشرة: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ أي اصدقوا في مقالتكم، وهذه اللفظة من الأوامر العجيبة البليغة التي يدخل فيها مع قلة حروفها وعذوبة لفظها الإقرار والشهادة والوصايا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفتاوى والأحكام والقضايا والمذاهب وغيرها من التكاليف، ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ أي ولو كان المقول له أو عليه ذا قرابة منكم، وحذرهم وزجرهم من ترك قول العدل بعموم قوله تعالى ـ وهي الحادية عشرة ـ: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ وذلك كل ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر أو غيره، وكذا فرائضه وما أوجب علينا لأن الجميع داخل في اسم أنه عهد الله.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ بالفتح على تقدير اللام، والكسر استئنافاً، أي هذا الذي وصيتكم به فاتبعوه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي الطرق الخارجة عن الحق، المخالفة لدين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي

طريقه المستقيم.

وعنه ﷺ أَنَّه خَطَّ خَطًّا مُسْتَقِيماً، وَخَطَّ خَطًّا يَمِيناً وَشِمَالاً، وَقَالَ: ((هَذَا سَبِيلُ اللهِ وَهَذِهِ السُّبُلُ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ)) [تيسير المطالب ٥٢٩] انتهى.

فيجب التحرز عن البدع والميل إليها والاستمساك بصراط الله، وفي تكرير: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ... لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ما لا يخفى من الحث على لزوم ما وصَّانا تعالى به، وأن نعقله ونتذكره، فلا نغفل عنه لنكون من المتقين، المستحقين للثواب، المزحزحين من العقاب، فسبحانه ما ألطفه، يريد الله ليبين لكم.

وعن النبي ﷺ أنه تلا: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ حتى بلغ قوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك:١-٢] ثم قال: ((أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً فَهُو أَحْسَنُ عَقْلاً، وَأَوْرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَأَسْرَعُهُمْ فِي طَاعَةِ اللهِ)) [تيسير المطالب ٥١١].

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٢-٣٣]

قوله: ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ أي من الثياب وكل ما يتجمل به. ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ أي المستلذات من المآكل والمشارب، والاستفهام للإنكار.

ويدخل تحت الزينة أنواع الملبوس، وتنظيف البدن، والركوب، وأنواع الحلي، إلا ما خُص.

ويدخل في الطيبات كل ما يستلذ ويشتهى من الحلال من أنواع المأكولات والمشروبات والتمتع بالنساء والطيب وغير ذلك، وهذا مؤكد بنحو قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة:٨٧] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم:١] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ﴾ [المائدة:٤] ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ﴾ [المائدة:٥].

وفي (العلوم): حدثنا محمد عن أبي الطاهر، عن أبيه، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: جاء عثمان بن مظعون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .. إلى أن قال: قد هممت أن أُحَرِّمَ خولةَ زوجتي؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخَذَ بِيَدِ زَوْجَتِهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ مِائَةَ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ مِائَةَ سَيِّئَةٍ، فَإِنْ قَبَّلَهَا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، فَإِنْ أَلَمَّ بِهَا حَضَرَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا اغْتَسَلَا لَمْ يَمُرَّ الْمَاءُ عَلَى شَعَرَةٍ مِنْهُمَا إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُمَا بِهَا حَسَنَةً وَمَحا عَنْهُمَا سَيِّئَةً. وَقَالَ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدَيَّ هَذَيْنِ اغْتَسَلَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ، عَلِمَا أَنِّي رَبُّهُمَا، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمَا، فَإِنْ كَانَ لَهُمَا فِي وَقْعَتِهِمَا تِلْكَ وَلَدٌ فَتَقَدَّمَهُمَا كَانَ شَفِيعاً لَهُمَا، فَإِنْ تَأَخَّرَهُمَا كَانَ نُوراً لَهُمَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا فِي وَقْعَتِهِمَا كَانَ لَهُمَا وَصِيفٌ فِي الْجَنَّةِ» ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده صدري ثم قال: «يَا عُثْمَانُ؛ لَا تَرْغَبْ عَنْ سُنَّتِي فَإِنَّهُ مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَتِي عَرَضَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَصَرَفَتْ وَجْهَهُ عَنْ حَوْضِي» انتهى

[أمالي أحمد بن عيسى - شفاء الأوام].

وعنه ﷺ: ((إِذَا نَظَرَ الْعَبْدُ إِلَى وَجْهِ زَوْجَتِهِ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِمَا بِرَحْمَتِهِ، وَإِذَا أَخَذَ بِكَفِّهَا وَأَخَذَتْ بِكَفِّهِ تَسَاقَطَتْ ذُنُوبُهُمَا مِنْ خِلالِ أَصَابِعِهِمَا، فَإِذَا تَغَشَّاهَا حَفَّتْ بِهِمَا الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، وَكَانَتْ كُلُّ لَذَّةٍ وَكُلُّ شَهْوَةٍ حَسَنَاتٍ أَمْثَالَ الْجِبالِ، فَإِذَا حَمَلَتْ كَانَ لَهَا أَجْرُ الصَّائِمِ القَائِمِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِذَا وَضَعَتْ لَمْ تَعْلَمْ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)) [مسند الإمام زيد ٢٠٩].

وعنه ﷺ أنه قَالَ: ((هَذَا يَوْمُ جُمْعَةٍ جَعَلَهُ اللهُ عِيداً لِلْمُسْلِمِينَ فَاغْتَسِلُوا فِيهِ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طِيبٌ فَلا يَضُرُّهُ أَنْ يَمَسَّ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ)) [تيسير المطالب ٣١٧].

وفي حديث: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَمِنَ الْكِبْرِ الدَّابَّةُ نَرْكَبُهَا، وَالْحُلَّةُ نَلْبَسُهَا، وَالطَّعَامُ نَصْنَعُهُ لِلْإِخْوَانِ؟ قَالَ: ((لَا، وَلَكِنْ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ وَغَمِصَ[1] النَّاسَ)) [تيسير المطالب ٤٤٨].

وعنه ﷺ: ((مَا اكْتَسَبَ رَجُلٌ كَسْباً أَطْيَبَ مِنْ عَمَلٍ بِيَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ)) [تيسير المطالب ٤٢٤].

وعنه ﷺ: ((لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا قَصْراً مِنْ يَاقُوتٍ يُرَى دَاخِلُهُ مِنْ خَارِجِهِ وَخَارِجُهُ مِنْ دَاخِلِهِ مِنْ ضِيَائِهِ، وَفِيهِ بَيْتَانِ مِنْ دُرٍّ وَزَبَرْجَدٍ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ؛ لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالَ: هَذَا لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَتَهَجَّدَ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ)) فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: يَا رَسُولَ اللهِ، وَفِي أُمَّتِكَ مَنْ يُطِيقُ هَذَا؟ قَالَ: ((أُدْنُ مِنِّي يَا عَلِيُّ، فَدَنَا مِنْهُ، فَقَالَ:

(١) أي استحقرهم، تمت، هامش الأصل.

أَتَدْرِي مَنْ أَطَابَ الكَلَامَ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، تَدْرِي مَنْ أَدَامَ الصِّيَامَ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَلَمْ يَفْطِرْ مِنْهُ يَوْماً، تَدْرِي مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: مَنْ طَلَبَ لِعِيَالِهِ مَا يَكُفُّ بِهِ وُجُوهَهُمْ عَنِ النَّاسِ، تَدْرِي مَنْ تَهَجَّدَ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: مَنْ لَمْ يَنَمْ حَتَّى يُصَلِّيَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ)). ويعني بالناس نيام: اليهود والنصارى، فإنهم ينامون فيما بينهما [تيسير المطالب ٥٩٤].

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني غير خالصة لهم لمشاركة غيرهم فيها، بل هي خالصة لهم يوم القيامة لا يشاركهم فيها أحد.

قال علي عليه السلام: (اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكُهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ؛ سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ، وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ، أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللهِ غَداً فِي أُخْرَاهُمْ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ). انتهى.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨] ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴿٥٦﴾﴾[الأعراف:٥٦] ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل:٣٠] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴿٤﴾﴾ [الطلاق:٤] ثم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الأعراف:٣٣] أي ما تزايد قبحه؛

ما خفي منها وما ظهر والإثم أي كل ذنب.

وعنه ﷺ: ((لَا تَسْتُرُوا الْجُدُرَاتِ بِالثِّيَابِ، وَإِنَّهُ مَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللهَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟)) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((مَنْ نَزَلَ وَحْدَهُ، وَمَنَعَ رِفْدَهُ، وَجَلَدَ عَبْدَهُ، أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟)) قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((مَنْ يَبْغَضُ النَّاسَ وَيَبْغَضُونَهُ، أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذا؟)) قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ)) ثُمَّ قَالَ: ((إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَامَ فِي قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَكَلَّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الْجُهَّالِ فَتَظْلِمُوهَا، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ، وَلَا تَظْلِمُوا، وَلَا تُكَافِئُوا ظَالِماً فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ الْأَمْرُ ثَلَاثَةٌ: أَمْرٌ تَبَيَّنَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ، وَأَمْرٌ تَبَيَّنَ غَيُّهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَأَمْرٌ قَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ)) [تيسير المطالب ٣٠٠].

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٣٣] وهو ظلم الناس، أُفرد لقبحه، قال تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل:٩٠] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس:٢٣] وقد أمر تعالى بقتاله: ﴿فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:٩].

وعنه ﷺ: ((إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَحِلُّ لِعَاصٍ))(١).

(١) في الأصل: ((لا تحل الجنة لعاص)) وما أثبت فمن الأمالي والشافي وغيرها (حقائق المعرفة ٣٨١، تيسير المطالب ٤١٤، الشافي ٣/٣٥).

وقال علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: (لَا تَدْعُوَنَّ [أَحَداً] إِلَى مُبَارَزَةٍ، وَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ، فَإِنَّ الدَّاعِيَ بَاغٍ، وَالْبَاغِي مَصْرُوعٌ).

وقال: (يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَومِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ).

وقال: (لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَةَ) انتهى.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الأعراف:٣٣] أي حجة وبرهانا والشرك أعظم الذنوب؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴿٤٨﴾﴾ [النساء] ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴿١١٦﴾﴾ [النساء] ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥] ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

وقال علي عليه السلام: (أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ:

فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾.

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً.

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ.

الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى وَلَا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذلِكَ مَعَهُ).

ثم قال تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴿٣٣﴾﴾ من التحريم وغيره، وفي هذه دلالة قوية على تحريم القول على الله بغير علم، بل قد قيل: إنها من أقوى

الدلائل على أن القول بالتقليد باطل، وهو الظاهر إلا مع الضرورة؛ فيقلد نصوص العلماء لا ما فُرِّعَ عليها، فالآية هذه قاضية بالتحريم؛ لأنا لا نعلم أن ذلك قول الله، فالأحوط مع ضرورة التقليد اتباع النصوص فقط؛ إذ ليس بعد تحذير الله شيء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل:١١٦] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام:٢١] [الأنعام:٩٣] [هود:١٨] [العنكبوت:٦٨].

وقال علي عليه السلام: (لَا يَفْتِي النَّاسَ إِلَّا مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ، وَفَقِهَ السُّنَّةَ وَعَلِمَ الْفَرَائِضَ وَالْمَوَارِيثَ) [مسند الإمام زيد ٢٥٧].

وقال: (أَوَّلُ الْقَضَاءِ مَا فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، ثُمَّ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الصَّالِحُونَ، فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ وَلَا فِي السُّنَّةِ وَلَا فِي مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الصَّالِحُونَ؛ اجْتَهَدَ الْإِمَامُ فِي ذَلِكَ، لَا يَأْلُو احْتِيَاطاً، وَاعْتَبَرَ وَقَاسَ الْأُمُورَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، فَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ أَمْضَاهُ، وَلِقَاضِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ مَا لِإِمَامِهِمْ) انتهى[مسند الإمام زيد ٢٠٤ - أصول الأحكام ١٢٤٦/٢ - شفاء الأوام].

ومع الضرورة فالأولى اتباع النصوص؛ لاحتمال قيام القاصر مقام من قلد، وقد علم المقلد الحكم، وأما التخاريج فالترك لها أحوط.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ أَخَذَ دِينَهُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي آلَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَعَنِ التَّدَبُّرِ لِكِتَابِهِ، وَالتَّفَهُّمِ لِسُنَّتِي؛ زَالَتِ الرَّوَاسِي وَلَمْ يَزُلْ، وَمَنْ أَخَذَ دِينَهُ عَنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ وَقَلَّدَهُمْ فِيهِ؛ ذَهَبَتْ بِهِ الرِّجَالُ مِنْ يَمِينٍ إِلَى شِمَالٍ، وَكَانَ مِنْ دِينِ اللهِ عَلَى أَعْظَمِ زَوَالٍ)) انتهى [تيسير المطالب ٢١٦ - حقائق المعرفة ١٢٣ - الشافي ٤٨٧/٢].

فالتخريج ليس بقولٍ للمُخَرَّج له، ولا مذهب للْمُخَرِّجِ، فليس له مستند

يرجع إليه.

أما إذا قيل إنه عن رسول الله فلا يبعد أن في ذلك إثمٌ مع التعمد؛ لقوله ﷺ: ((مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلِيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)) [بهذا اللفظ في تيسير المطالب ٢٢٠] ولما سبق.

وعنه ﷺ: ((إِنَّ اللهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ، فَإِذَا قُبِضَ الْعُلَمَاءُ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالاً، سئِلُوا فَاسْتَحْيَوا أَنْ يَقُولُوا لَا نَعْلَمُ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)) [تيسير المطالب ٢٠٨ - الأمالي الخميسية ٥٤/١ - الشافي ٤٤٠/٣].

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦]

﴿تَضَرُّعًا﴾ أي تَذَلُّلاً، ﴿وَخُفْيَةً ۚ﴾ أي سِرّاً، ﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت، ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ﴾ أي بالمعاصي والظلم، ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل، و﴿خَوْفًا﴾ أي من عقابه، ﴿وَطَمَعًا ۚ﴾ أي في ثوابه ورحمته، وخوفا من الرد وطمعاً في الإجابة، و ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين، وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لإضافتها إلى الله تعالى.

امتَنَّ الله على عباده المؤمنين بأمره لهم بالدعاء والإذن فيه، ووعدهم الإجابة، فسبحانه ما ألطفه؛ فتح لك باب الدعاء في أي حاجة دنيوية أو أخروية، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، فاقرع الباب إن كنت من ذوي الألباب ﴿أَمَّن

﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢] ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

وعنه ﷺ: ((مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ الدُّعَاءَ فَمُنِعَ الْإِجَابَةَ؛ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾)) [تيسير المطالب ٣٣١].

وعنه ﷺ: ((مَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فَلَهُ عِنْدَ اللهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ)) [تيسير المطالب ٣٣١ - صحيفة الرضا - كتاب الذكر].

وعنه ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَدُعَاءُ الرَّجُلِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ أَنْجَحُ فِي الْحَاجَةِ مِنَ الضَّارِبِ بِمَالِهِ فِي الْأَرْضِ)) [تيسير المطالب ٣٣٣ - أمالي أحمد بن عيسى - كتاب الذكر].

وقال ﷺ: ((مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ لَمْ يُعْطَهَا فِي الدُّنْيَا أُعْطِيهَا فِي الْآخِرَةِ)) [مسند الإمام زيد ١١٤ - تيسير المطالب ٣٣٣].

وقال ﷺ: ((إِنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ القَضَاءَ، وَإِنَّ البِرَّ يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ، وَإِنَّ الْحَجَّ لَيُنْفِي الْفَقْرَ، وَإِنَّ صَدَقَةَ النَّهَارِ تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَإِنَّ صَدَقَةَ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى)) [تيسير المطالب ٣٣٦ - حقائق المعرفة ٢٧٦].

وقال ﷺ: ((الدُّعَاءُ سِلاحُ الْمُؤْمِنِ وَعَمُودُ الدِّينِ، وَزَينُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)) [صحيفة الرضا - تيسير المطالب ٣٣٧ - كتاب الذكر].

وعنه ﷺ: ((خَمْسُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ حَتَّى يَنْتَصِرَ، وَدَعْوَةُ الْحَاجِّ حَتَّى يَصْدُرَ، وَدَعْوَةُ الْمُجَاهِدِ حَتَّى يَقْفُلَ، وَدَعْوَةُ الْمَرِيضِ حَتَّى يَبْرَأَ، وَدَعْوَةُ الْأَخِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَأَسْرَعُ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ إِجَابَةً دَعْوَةُ الْأَخِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ)) [تيسير المطالب ٣٣٩].

وقال ﷺ: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ تُسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ فَلْيُطَيِّبْ مَكْسَبَهُ)) [تيسير المطالب ٣٤٠].

وعنه ﷺ: ((سَلُوا اللهَ السَّدَادَ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَعْمَلُ الدَّهْرَ الطَّوِيلَ عَلَى الْجَادَّةِ مِنْ جَوَادِ الْجَنَّةِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ دَؤُوباً دَؤُوباً إِذِ انْبَرَتْ لَهُ الْجَادَّةُ مِنْ جَوَادِ النَّارِ فَيَعْمَلُ عَلَيْهَا، وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا، فَلا يَزَالُ دَؤُوباً دَؤُوباً حَتَّى يُخْتَمَ لَهُ بِهَا فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِهَا. وَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَعْمَلُ الدَّهْرَ الطَّوِيلَ عَلَى الجَادَّةِ مِنْ جَوَادِ النَّارِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ دَؤُوباً دَؤُوباً؛ إِذِ انْبَرَتْ لَهُ الْجَادَّةُ مِنْ جَوَادِ الْجَنَّةِ فَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا وَيَعْمَلُ عَلَيْهَا فَلَا يَزَالُ دَؤُوباً دَؤُوبًا عَلَيْهَا حَتَّى يُخْتَمَ لَهُ بِهَا)) [تيسير المطالب ٣٢٩ - حقائق المعرفة ٣٠٥].

وعنه ﷺ: ((لَا يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ)) [تيسير المطالب ٣٢٧ - الأمالي الخميسية ٣١٠/١].

وقال ﷺ: ((إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَسْأَلَ رَبَّهُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ فَلْيَيْأَسْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَلَا يَكُونَنَّ لَهُ رَجَاءٌ إِلَّا عِنْدَ اللهِ، فَإِذَا عَلِمَ اللهُ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَسْأَلْهُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ، أَلَا فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا فَإِنَّ فِي الْقِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفاً كُلُّ مَوْقِفٍ مَقَامُ أَلْفِ سَنَةٍ)) ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: ٤])) [تيسير المطالب ٣٢٨].

وقال علي عليه السلام: (إِنَّ هذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ(١)).

(١) أي حِكَماً مُسْتَحْدَثَة، تمت، هامش الأصل، قال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في الديباج الوضي: أراد فاطلبوا لها مستحدثات الحكم ومستجداتها لتكون نشيطة مقبلة على الأعمال. (الديباج:٦/٢١٠١)

وقال: (ادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ فَإِنَّهُ سِلَاحُ الْأَنْبِيَاءِ).

وقال: (إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالاً وَإِدْبَاراً، فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ).

وقال عليه السلام: (حَلِّفُوا الظَّالِمَ - إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ - بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِباً عُوجِلَ الْعُقُوبَةَ، وَإِذَا حَلَفَ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجَلْ، لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَهُ سُبْحَانَهُ).

وقال عليه السلام: (قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ).

وقال: (مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ بِأَحْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ مِنَ الْمُعَافَى الَّذِي لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءَ!).

وقال لابنه محمد: (يَا بُنَيَّ؛ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ).

وقال عليه السلام: (إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ الْمَسْأَلَةَ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ، فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ، فَيَقْضِي إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى).

وقال عليه السلام: (مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلَانِيَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ كَفَاهُ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ).

وقال عليه السلام: (مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا شَكَاهَا إِلَى اللهِ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللهَ).

وقال عليه السلام: (أَرْبَعَةٌ لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالْوَالِدُ لِوَلَدِهِ، وَالْمَظْلُومُ، وَالرَّجُلُ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ) [مسند الإمام زيد ١١٤].

وقال عليه السلام: (الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ) [مسند الإمام زيد ١١٤].

وقال عليه السلام: (من قَالَ فِي مَوْطِنٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ نَبِيّاً، وَبِعَلِيٍّ وَبِأَهْلِ بَيْتِهِ أَوْلِيَاءَ، كَانَ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ، وَكَانَ مَعَنَا غَداً هَكَذَا ـ وجمع بين أصبعيه) [مسند الإمام زيد ٢٦٧].

وعن علي عليه السلام: (الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ).

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف:٩٩] أي استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة.

وقال علي عليه السلام: (إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ).

وقال عليه السلام: (يَابْنَ آدَمَ؛ إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ).

وقال عليه السلام: (الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَالْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ). (كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ، وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَداً بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ) [تاريخ اليعقوبي٢/٢٠٦، - النهج].

وقال عليه السلام: (رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَى، وَرُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَى).

وقال عليه السلام: (أَيُّهَا النَّاسُ، لِيَرَكُمُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ، كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ! إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذلِكَ اسْتِدْرَاجاً فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً، وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذلِكَ اخْتِبَاراً فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً).

قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف:١٩٩-٢٠٠]

معنىٰ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ هو أدب من الله لنبيه ﷺ، جمعت هذه الأحرف اليسيرة من الآداب ما فيه حكمة عظيمة لمن عقلها وأقبل عليها بفكره؛ لأن قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ يدل علىٰ احتمال الشرور وستر كثير من قبائح الأمور وأخذ السهل من أخلاق الناس، وقوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ يدل علىٰ الأمر بالخيرات والزجر عن جميع القبائح، ثم قال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فدلَّ بذلك علىٰ ألطف المواعظ وهي الهجرة الجميلة لسفهاء البرية وسفلها، فانظر ما في هذه الكلمات من الحكمة وحسن التدبير والبركات والسلامة، وقد قيل: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها، ولها ما يؤكدها في القرآن: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان] ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣﴾ [الفرقان] ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ [القصص].

وقال علي عليه السلام لِعُمَّالِهِ: (لَا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ، وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلَا عَبداً، وَلَا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ، وَلَا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، مُصَلٍّ وَلَا مُعَاهَدٍ).

وقال عليه السلام فِي عَهْدِهِ لِلْأَشْتَرِ: (أَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ [بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ][1] فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ،

(١) ما بين المعقوفين زيادة من الديباج الوضي ونهج البلاغة.

وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ.... وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ عِنْدَهَا مَنْدُوحَةً، [وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ][1]، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ).

وقال عليه السلام: (الْحِلْمُ فِدَامُ[2] السَّفِيهِ، وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ)، (أَغْضِ عَلَى الْقَذَى وَإِلَّا لَمْ تَرْضَ أَبَداً)، (مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ)، (مِنْ أَشْرَفِ أَفْعَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ)، (وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ)، (ازْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ) (التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ)، (مَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ)، (مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ)، (هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ)، (الْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ، وَالْإِحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ)، و (مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْهِ)، (أَقِيلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلَّا وَيَدُ اللَّهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ).

وقال عليه السلام: (وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ) [نهج البلاغة - الديباج].

ثم قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠] أي ينخسنك عنه نخس بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أُمِرت به ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ أي: استجر به، ولا تطعه، و النزغ: الغرز والنخس، كأنه ينخس الناس حين يغريهم على

(١) ما بين المعقوفين زيادة من الديباج الوضي ونهج البلاغة.

(٢) الْفِدَامُ: بِالْكَسْرِ مَا يُوضَعُ فِي فَمِ الْإِبْرِيقِ لِيُصَفَّى بِهِ مَا فِيهِ، تمت، مختار، وقال في هامش الأصل: الفدام الخرقة التي يشد بها المجوسي فمه.

المعاصي واعتراء الغضب ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لاستعاذتك ﴿عَلِيمٌ﴾ بوسوسته وبمصالحكم.

وعنه ﷺ: ((اتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، وَاتَّقُوا الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى انْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ؛ فَإِذَا أَحَسَّ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَذْكُرِ اللهَ سُبْحَانَهُ)) [تيسير المطالب ٥٥٧].

وعنه ﷺ: ((خِيَارُ أُمَّتِي هُمُ الَّذِين إِذَا غَضِبُوا رَجَعُوا)) [تيسير المطالب ٥٥٨].

وعنه ﷺ: ((إِذَا غَضِبْتَ فَاقْعُدْ، فَإِنْ لَمْ يَذْهَبْ فَاضْطَجِعْ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَذْهَبُ عَنْكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى)) [تيسير المطالب ٥٥٨].

وقال علي عليه السلام للحسن عليه السلام: (يَا بُنَيَّ، احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً وَأَرْبَعاً، لَا يَضُرَّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ، وَأَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمْقُ، وَأَوحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ، وَأَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ.

يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ.

وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ.

وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ، فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ.

وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ: يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَيُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ) [النهج - الديباج - ومثله في تيسير المطالب ٥٦٣].

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف:٢٠٥]

قوله: ﴿فِي نَفۡسِكَ﴾ وهو الذكر القلبي، وهو شغل القلب في التفكر في جلال

الله وقدرته وعظمته وسلطانه وعدله وتوحيده ووعده ووعيده، ﴿تَضَرُّعًا﴾ وهو التذلل والخضوع والخشوع، ﴿وَخِيفَةً﴾ أي خيفة منه تعالى، وهذا خطاب للنبي ﷺ وحكمه عام للمكلفين، ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾ أي الذكر السر فلا تجهر، كقوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥] ودلت الآيتين أن السر أفضل من الجهر، ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره، وذكر هذين الوقتين لفضلهما، وقد ذكرهما تعالى في غير هذا ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب:٤٢] [الفتح:٩] [الإنسان:٢٥] ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:١١] والآصال ما بين العصر والمغرب، جمع أصيل، ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ عن ذكره فتنساه ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة] ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب].

وعن علي عليه السلام: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا نَظَرَ اعْتَبَرَ، وَإِذَا سَكَتَ تَفَكَّرَ، وَإِذَا تَكَلَّمَ ذَكَرَ، وَإِذَا اسْتَغْنَى شَكَرَ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ صَبَرَ، فَهُوَ قَرِيبُ الرِّضَى بَعِيدُ السَّخَطِ، يُرْضِيهِ عَنِ الله عَزَّ وَجَلَّ اليَسِيرُ، نِيَّتُهُ فِي الْخَيْرِ مَغْمُوسَةٌ، يَنْوِي كَثِيراً مِنَ الْخَيْرِ فَيَتَلَهَّفُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الْخَيْرِ كَيْفَ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ) [تيسير المطالب ٢٢٩].

وعنه ﷺ: ((مَنِ انْتَبَهَ مِنْ فِرَاشِهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ؛ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ)) [تيسير المطالب ٢٣٨].

وعنه ﷺ: ((ذِكْرُ اللهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصَّدَقَةُ أَفْضَلُ مِنَ الصِّيَامِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ)) [تيسير المطالب ٢٤٢ - الأمالي الخميسية ٤٦/١ - أمالي أحمد بن عيسى - البساط].

وروي في أمالي المؤيد بالله بسنده عنه ﷺ: قال: ((لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الْخَطَايَا)) فقالوا: كيف هي للأحياء؟ فقال ﷺ: ((فَهِيَ أَهْدَمُ وَأَهْدَمُ)).

وقال ﷺ: ((مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللهِ أَحَبَّهُ اللهُ)) [تيسير المطالب ٤٩٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال:٢-٤]

﴿إِنَّمَا﴾ للحصر أي الكاملون في الإيمان لهم صفات خمس:

الأولى: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي خافت وفزعت، يعني فزعت لذكره استعظاماً له وتهيباً من جلاله، وعزة سلطانه، وبطشه بالعصاة وعقابه، وهذا كقوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر:٢٣] ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧﴾[المعارج] وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ إذ هذا لثلج النفس وشرح الصدر بمعرفة التوحيد وذكر رحمته وثوابه، والوجل إنما هو لما سبق من الخوف من عقابه، بل هذان الوصفان قد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، والمعنى تقشعر جلودهم من خوف عذاب الله، ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند رجاء ثوابه.

الثانية: قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ فيتدبر عند تلاوته

ليعرف ما أَمَر به، وما نَهى عنه، وما وَعد به وتوعد؛ ليزداد إيماناً إلى إيمانه، ويتدبر الآيات المثيرة لدفائن العقول لتحصل الزيادة.

الثالثة: قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ فلا يفوضون أمورهم إلا إليه.

قال علي عليه السلام في وصيته للحسن: (وَأَجْمِعْ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ، [وَمَانِعٍ عَزِيزٍ][1]، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، وَأَكْثِرِ الاسْتِخَارَةَ).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يَكُونَ كَلّاً وَعِيَالاً عَلَى الْمُسْلِمِينَ)) [مسند الإمام زيد ٢٥٩].

وقال علي للحسن عليهما السلام: (خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ).

الرابعة: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي يفعلونها كاملة في أوقاتها.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ الزكاة وغيرها، جمع تعالى بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة.

ثم أثبت تعالى لمن هذه صفته أمور أربعة:

الأول: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ أي هم المؤمنون بالحقيقة.

الثاني: قوله تعالى: ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي شرف وكرامة وعلو منزلة.

الثالث: قوله ﴿وَمَغۡفِرَةٞ﴾ أي ستر لذنوبهم.

الرابع: قوله: ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾ يعني نعيم الجنة لهم منافع حسنة دائمة على

(١) ما بين المعقوفين زيادة من الديباج الوضي ونهج البلاغة.

سبيل التعظيم.

واعلم وفقنا الله وإياك أن الإيمان الشرعي ليس مقصوراً على التصديق فقط؛ لهذه الآية وغيرها في القرآن، فلا بد مع ذلك من فعل الواجبات، وتجنب الكبائر.

وعنه ﷺ: ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نُهِيَ عَنْهُ)) [تيسير المطالب ٢٣١].

وعنه ﷺ: ((الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)) [تيسير المطالب ٢٣٦ -الأمالي الخميسية ٢٤/١ - كتاب الذكر].

وعنه ﷺ: ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ خِصَالَ الْإِيمَانِ: مَنِ الَّذِي إِذَا قَدَرَ لَمْ يَتَعَاطَ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ، وَمَنِ الَّذِي إِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ، وَمَنِ الَّذِي إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ مِنَ الْحَقِّ)) [الأحكام٣٧٨/٢ - تيسير المطالب ٢٢٩ - شفاء الأوام].

وعنه ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ)) [تيسير المطالب ٢٣١].

وعنه ﷺ: ((الإِسْلامُ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)) قال جابر: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: ((الَّذِينَ يَصْلُحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ)) [تيسير المطالب ٢٣٢].

وعنه ﷺ: ((لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ)) [تيسير المطالب ٢٣٥ - الأمالي الخميسية ٤٠/١].

وعنه ﷺ: ((لَا تَعْجَبُوا بِإِسْلَامِ امْرِئٍ حَتَّى تَعْرِفُوا عُقْدَةَ قَلْبِهِ)) [تيسير المطالب ٢٣٩].

واستقبل رسول الله ﷺ قوماً، فقال: ((مَنِ الْقَوْمُ؟)) قَالُوا: [نَحْنُ قَوْمٌ]

مُؤْمِنُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: ((وَمَا بَلَغَ مِنْ إِيمَانِكُمْ)) قَالُوا: الصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((حُكَمَاءُ، حُلَمَاءُ، كَادُوا مِنَ الْفِقْهِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَصِفُونَ فَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَلَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) [تيسير المطالب ٢٣٩].

وعنه ﷺ: ((لَا يَزْنِي الزَّانِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)) قِيلَ: يَا رَسُولَ الله؛ كَيْفَ نَصْنَعُ إِذَا وَاقَعَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: ((إِنْ رَاجَعَ التَّوْبَةَ رَاجَعَهُ الإِيْمَانُ، وَإِنْ لَمْ يَتُبْ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِناً)) [تيسير المطالب ٥٤٥ - حقائق المعرفة ١٨٨].

وَسُئِلَ عَلِيٌّ عليه السلام عن الإيمان فقال: (الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى الصَّبْرِ، وَالْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ، وَالْجِهَادِ:

فَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الشَّوْقِ، وَالشَّفَقِ، وَالزُّهْدِ، وَالتَّرَقُّبِ؛ فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ، وَمَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ.

وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ، وَمَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ، وَسُنَّةِ الاوَّلِينَ؛ فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ، وَمَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الْأَوَّلِينَ.

وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى غَائِصِ الْفَهْمِ، وَغَوْرِ الْعِلْمِ، وَزُهْرَةِ الْحُكْمِ، وَرَسَاخَةِ الْحِلْمِ؛ فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ، وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ، وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً.

وَالْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنكَرِ،

وَالصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ، وَشَنَآنِ الْفَاسِقِينَ؛ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْمُنَافِقِينَ، وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَمَنْ شَنِئَ الْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ لله غَضِبَ اللهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

[نهج البلاغة قسم الحكم - الأمالي الخميسية١٠٥/١- الديباج].

وقال عليه السلام: (لَأَنْسُبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي:

الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَالْأَدَاءُ هَوَ الْعَمَلُ).

وقال عليه السلام: (لَا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ أَوْثَقَ مِنهُ بِمَا فِي يَدِهِ).

وقال عليه السلام: (الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ).

وعن أبي أمامة أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَا الْإِيْمَانُ؟، قَالَ: ((إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ)). قَالَ: فَمَا الْإِثْمُ؟ قَالَ: ((إِذَا حَكَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَدَعْهُ)) [تيسير المطالب ٢٣١].

واعلم أن التوكل هو الاعتصام بالله دون خلقه في معيشة وغيرها، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَسْأَلَ رَبَّهُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ فَلْيَيْأَسْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَلَا يَكُونُ لَهُ رَجَاءٌ إِلَّا عِنْدَ اللهِ)) [تيسير المطالب ٣٢٨].

وقال عَلِيٌّ عليه السلام: (لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ إِلَّا رَبَّهُ).

فطلب المعيشة على ثلاثة أقسام:

الأول: أنَّ الأَوْلَى لصاحب العبادة والمشتغل بتربية العلم وطلبه والقضاة ونحوهم التناول من أموال المصالح وترك التكسب؛ لرزق علي عليه السلام لشريح من

بيت المال على اشتغاله بالقضاء ونحوه.

الثاني: حيث لم يَتَأَتَّ التناول، فإن كانوا واثقين من أنفسهم بعدم انتظار الناس متى يُتَصدَّق عليهم، ولا رجاء لهم فيهم؛ فلا بأس بتركه مع استعمال الصبر، وعليه يحمل قول علي عليه السلام: (وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً، وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً).

وقوله وَقَدْ سُئِلَ: لَوْ سُدَّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ بَيْتِهِ وَتُرِكَ فِيهِ، مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ؟ فَقَالَ: (مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ).

وقوله: (خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ).

وقوله: (الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ).

ومما ورد في الأدعية والرواتب من تحصيل الرزق بها، وقد سبق شيء من ذلك.

الثالث: ما عداهما، الأَوْلَى له التوكل بطلب المعيشة له ولعوله بالكد، وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ أَوْ يَكُونَ عِيَالاً عَلَى النَّاسِ)) [مسند الإمام زيد ١٤٢ - أمالي أحمد بن عيسى - تيسير المطالب ٤٢٧].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يَكُونَ كَلاًّ وَعِيَالاً عَلَى الْمُسْلِمِينَ)) [مسند الإمام زيد ٢٥٩].

وقول علي عليه السلام: (لَا تَتَّكِلْ فِي مَعِيشَتِكَ عَلَى كَسْبِ غَيْرِكَ تَنْتَظِرُ مَتَى يَتَصَدَّقُ عَلَيْكَ) [تيسير المطالب ٥٦٢].

وقوله عليه السلام: (لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ مَعَاشَهُ، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَلَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ) [نهج البلاغة - الديباج] وهو فعل

سادات الأمة وأعيان الصحابة والتابعين.

وعنه ﷺ: ((الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى)) [الأمالي الخميسية ٣٦٤/٢ - تيسير المطالب ٥٠٠ - حقائق المعرفة ٢٠٤].

وعنه ﷺ: ((كَانَ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ: وَعَلَى الْعَاقِلِ أَلَّا يَكُونَ ظَاعِناً إِلَّا لِثَلَاثٍ: تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ أَوْ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ)) [المصابيح في السيرة ١٣٤ - تيسير المطالب ٤٦٣ - نهج البلاغة - الديباج].

وإذ هو جهاد لقول علي عليه السلام: (الْإِكْتِسَابُ مِنَ الْحَلَالِ جِهَادٌ، وَإِنْفَاقُكَ إِيَّاهُ عَلَى عِيَالِكَ وَأَقَارِبِكَ صَدَقَةٌ، وَلَدِرْهَمٌ حَلَالٌ مِنْ تِجَارَةٍ أَفْضَلُ مِنْ عَشَرَةٍ مِنْ غَيْرِهِ) [مسند الإمام زيد ١٧٧].

وللتكسب شروط: منها: تجنب الحرام، ومنها: حسن النية ليفوز بالأجر، لقوله ﷺ: ((تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ رَجُلٌ خَرَجَ ضَارِباً فِي الْأَرْضِ يَطْلُبُ مِنْ فَضْلِ اللهِ يَعُودُ بِهِ عَلَى عِيَالِهِ)) [مسند الإمام زيد ٢٧١ - أمالي أحمد بن عيسى - تيسير المطالب ٤٢٦].

ولما سئل ﷺ: أي الكسب أفضل؟ قال: ((عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ، وَمَنْ كَدَّ عَلَى عِيَالِهِ كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ)) [مسند الإمام زيد ١٧٨].

وقول علي عليه السلام: (مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالاً تَعَطُّفاً عَلَى وَالِدٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ زَوْجَةٍ بَعَثَهُ اللهُ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ) [مسند الإمام زيد ١٧٨ - أمالي أحمد بن عيسى].

وقول النبي ﷺ: ((مَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ)) [تيسير المطالب ٤٢٤] ونحو ذلك.

ومنها: الاستعانة بالرواتب والأدعية في التيسير والسلامة من نصبه.

ومنها: التوكل على الله في ذلك، والشكر على حصول الحلال، ويصبر على الحرمان، ويرضى بما قسم له، ويعتقد أن ما فات أنه مصلحة واختيار كما سبق.

ومنها: استعمال القصد في المعيشة؛ لقوله ﷺ: ((مَنِ اقْتَصَدَ فِي مَعِيشَتِهِ رَزَقَهُ اللهُ)) وقول علي عليه السلام: (مَا عَالَ امْرُؤٌ اقْتَصَدَ).

ومنها: أن لا يكون همه الجمع لمن يخلف والطمع، بل يكون همه الآخرة، والبلاغ من القوت على حسب قُلِّ العول وكُثْرِهم، ويتفرغ من هموم الدنيا، ويزهد نفسه في الدنيا ليستريح في الدارين، ولا يبالي إلا بما فات من دينه وما يقربه إلى خالقه، وليتفهم ما سأذكره عن النبي والوصي صلى الله عليهما:

قال ﷺ: ((خُذْ مِنَ الْحَلالِ مَا شِئْتَ إِذَا أَمْكَنَكَ، وَجَانِبِ الْجَمْعَ وَالطَّمَعَ))

[تيسير المطالب ٤٩٩، من حديث طويل].

وقال ﷺ: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْحَقَنِي فَلْيَكُنْ زَادُهُ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ))

[تيسير المطالب ٥٠٠].

وقال ﷺ: ((مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ آمِناً فِي سِرْبِهِ وَعِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا؛ يَا ابْنَ جُعْشُمٍ؛ يَكْفِيكَ مِنْهَا مَا سَدَّ جَوْعَتَكَ وَوَارَى عَوْرَتَكَ وَإِنْ كَانَ بَيْتٌ يُوَارِيكَ فَذَاكَ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةٌ تَرْكَبُهَا فَتَمَّ، وَمَا فَوْقَ الْإِزَارِ حِسَابٌ عَلَيْكَ)) [تيسير المطالب ٤٩٧].

وقال ﷺ: ((إِنَّ لِلَّهِ خَوَاصًّا فَيُسْكِنُهُمُ الرَّفِيعَ مِنَ الْجِنَانِ، كَانُوا أَعْقَلَ النَّاسِ)) قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَكَيْفَ كَانُوا أَعْقَلَ النَّاسِ؟ قَالَ: ((كَانَتْ نِهْمَتُهُمُ الْمُسَابَقَةَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَالْمُسَارَعَةَ إِلَى مَا يُرْضِيهِ، وَزَهِدُوا فِي الدُّنْيَا وَفُضُولِهَا

وَرِيَاسَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَهَانَتْ عَلَيْهِمْ فَصَبَرُوا قَلِيلاً وَاسْتَرَاحُوا طَوِيلاً)) [تيسير المطالب ٤٩٨].

وقال ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، أَمَا تَسْتَحْيُونَ؟)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ مِمَّ؟ قَالَ: ((تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتَبْنُونَ مَا لَا تُعَمِّرُونَهُ، وَتَأْمُلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ، أَفَلا تَسْتَحْيُونَ مِنْ ذَلِكَ؟))[تيسير المطالب ٤٩٨].

وقال علي عليه السلام: (خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ)، وقال: (مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ)، وقال: (لَيْسَ بَلَدٌ أَحَقُّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ، خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ)، وقال: (يَا بْنَ آدَمَ؛ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ)، وقال: (شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ، فَإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنَى، وَأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ الْحَظِّ عَلَيْهِ)، وقال: (طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ)، وقال: (لَا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَى بِالْقُوتِ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدِ انْتَظَمَ الرَّاحَةَ)، وقال: (الرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ، وَمَطِيَّةُ التَّعَبِ).

وقال عليه السلام: (إِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ الْاِعْتِبَارِ، وَيَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الْاِضْطِرَارِ) وقال: (لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ؛ فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ للهِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللهِ، فَمَا هَمُّكَ وَشُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ اللهِ؟!)، وقال: (إِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ اللهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، وَلَيْسَ أَحَدُ هذَيْنِ أَهْلاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ، وَتَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ، فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللهِ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللهِ).

قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة:٢٥]

أي واذكر يوم حنين، وهو وادٍ بين مكة والطائف، ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ قيل كانوا ستة عشر ألفاً، وقيل اثنا عشر ألفاً، ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ الكثرة ﴿شَيْـًٔا﴾ وقوله: ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي مع رحبها أي سعتها، و ﴿مُّدْبِرِينَ﴾ أي منهزمين، انهزموا حتىٰ بلغ فَلُّهُم مكة، وثبت رسول الله ﷺ ومعه نفر من بني هاشم فلم يبرحوا، وثبت الله أقدامهم، وقال الشاعر:

خلىٰ النـاس عنـه في حنـين بـأسرهم ... وولـــوا هـــزيماً بالرمـــاح الشـــوارع

ســوىٰ الهاشــميين الكــرام فــإنهم ... ذووا الصـبر تحـت المرهفـات القواطـع

وفيهم عليٌّ خـير مـن وطـئ الحصىٰ ... قريـــع قـــريش كلهـــا في الوقـــائع

ســنان رســول الله في كــل حومــة ... وكاشــفها عــن وجهــه غــير راجــع

دلت الآية علىٰ أنه يجب التوكل علىٰ الله، والإتكال عليه والإنقطاع، لذا أنه تعالىٰ قال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ... الآية﴾ فلما عجبوا بكثرتهم يوم حنين وقعت الهزيمة، فيقبح الإعجاب؛ إذ قد أثر في أصحاب الجهاد؛ فكيف بغيرهم؟

قيل: والعُجْب مَسَرَّةٌ بحصول أمر يصحبها تطاول لأجله علىٰ من لم يحصل له مثله، لا السرور الخالص من هذا، إذ المؤمن من سرته حسنته، بل يحمد الله ويشكره علىٰ ما يسَّرَ له ذلك الأمر، وقد انعقد الإجماع علىٰ حظر الإعجاب.

وعنه ﷺ: ((اجْتَنِبِ الْكِبْرَ، وَالْبُخْلَ، وَالْعُجْبَ، وَالرِّيَاءَ، وَمَشْيَةَ الْخُيَلَاءِ))

[تيسير المطالب ٤٩٩].

وقال علي عليه السلام: (الْإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الْإِزْدِيَادَ)، وقال عليه السلام: (عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ) وقال عليه السلام: (لَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ) وقال عليه السلام: (سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ).

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١]

قوله: ﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ أي في الدين والمناصرة والرحمة، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟)) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ((أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ، وَتَوَاصَلُوا وَتَبَاذَلُوا)) [مسند الإمام زيد ٢٦٠].

وعن علي عليه السلام: (يَكَادُ النَّاسُ أَنْ يَنْقُصُوا حَتَّى لَا يَكُونُ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ مِنْ أَخٍ مُؤْمِنٍ أَوْ دِرْهَمٍ مِنْ حَلَالٍ، وَأَنَّى لَهُ بِهِ) [مسند الإمام زيد ٢٦١].

وعن علي عليه السلام: (إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ أَخُوهُ فَلْيَأْكُلْ مِنْ طَعَامِهِ، وَلْيَشْرَبْ مِنْ شَرَابِهِ، وَلَا يَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ) [مسند الإمام زيد ٢٦١].

وعن علي عليه السلام: (لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ سِتُّ خِصَالٍ: يَعْرِفُ اسْمَهُ وَاسْمَ أَبِيهِ، وَمَنْزِلَهُ، فَيَسْأَلُ عَنْهُ إِذَا غَابَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ وَيَشْهَدُ جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ) [مسند الإمام زيد ٢٦٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسلِمِ سِتٌّ مِنَ الْمَعْرُوفِ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَحْضُرُ جَنَازَتَهُ،

وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) [تيسير المطالب ٤٤٢ - ونحوه في الأمالي الخميسية ٣٩٤/٢].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَا يَكُونُ الْمَرْءُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ وَصُولاً، وَلَا يَكُونُ مُسْلِماً حَتَّى يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ، وَلَا يَكُونُ عَالِماً حَتَّى يَكُونَ بِالْعِلْمِ عَامِلاً، وَلَا يَكُونُ عَابِداً حَتَّى يَكُونَ وَرِعاً، وَلَا يَكُونُ وَرِعاً حَتَّى يَكُونَ زَاهِداً، أَطَالَ الصَّمْتَ وَأَقَلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ)) [تيسير المطالب ٢٣١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ)) [الأحكام٤١٣/٢ - تيسير المطالب ٥٥٠ - الأمالي الخميسية٢/ ١٨٥].

قال علي عليه السلام للحسن عليه السلام: (يَا بُنَيَّ؛ إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ، فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ: يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَيُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ).

وقال عليه السلام: (قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحِيشَةٌ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ).

وقال عليه السلام: (فَقْدُ الْأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ).

ثم لما وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض ذكر بعده ما يجري مجرى التفسير فقال: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ عكس المنافقين.

وقال علي عليه السلام: (أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ؛ إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَراً يُدْعَى إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ السُّفْلَى، فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ).

ثم لما ذكر صفات المؤمنين قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ بالفوز بنعيم الجنة، والنجاة من النار، وأتى بالسين للتوكيد والمبالغة كما تؤكد الوعيد بها في قولك: سأنتقم منك.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي غالب قادر على كل شيء ﴿حَكِيمٞ﴾ واضع كُلًّا موضعه على حسب الاستحقاق، وهما أيضاً للمبالغة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس:١٠٧]

الضر والفقر والمرض؛ فلا يقدر على كشف الضر إلا هو، ولا يقدر أحد على رد فضله، يصيب بالخير أو بهما من يشاء من عباده على حسب حكمته جل وعلا، فهو الحقيق بأن يُعبد ولا يُعصى، ويُصْمَد ويُتَوكل عليه في جميع الأمور، وحقيق بالمربوب أن يقطع رجاه عن غير هذا الرب الغفور الرحيم ويبالغ في الاعتذار إليه مما فرط، ويبث إليه حاجته وشكواه.

وعنه ﷺ: ((أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْهَوَى وَطُولَ الْأَمَلِ، أَمَّا الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيَصُدُّ عَنِ الآخِرَةِ، وَهَذِهِ الدُّنْيَا مُرْتَحِلَةٌ، وَهَذِهِ الآخِرَةُ قَادِمَةٌ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ فَافْعَلُوا؛ فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ فِي دَارِ عَمَلٍ وَلَا حِسَابَ، وَأَنْتُمْ غَداً فِي دَارِ حِسَابٍ وَلَا عَمَلَ، وَأَنْتُمُ اليَوْمَ فِي الْمِضْمَارِ، وَغَداً فِي السِّبَاقِ، وَالسِّبَاقُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْمُتَخَلِّفُ فِي النَّارِ، وَبِالْعَفْوِ تَنْجُونَ، وَبِالرَّحْمَةِ تَدْخُلُونَ، وَبِأَعْمَالِكُمْ تَقْتَسِمُونَ)) [تيسير المطالب ٥٦٥ - حقائق المعرفة ٢٦٥].

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود:١٥-١٦]

يحتمل قوله تعالى: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي جزاء أعمالهم من العقاب، ويحتمل أن يكون ما يرزقون فيها من الصحة والرزق، ويحتمل أن من كان مريداً لهذه الحياة الدنيا ونسي آخرته وفعل شيئاً من صلات الأرحام أو نحوها أو قراءة وجهاد وإعطاء مريداً للرياء فيوفى بسعةٍ في الرزق ونحو ذلك، أو يُوَفَّى بأن يقال في الدنيا: هو قارئ، شجاع، كريم، فيموتوا وليس لهم حسنة، فليس لهم إلا النار، ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾ يعني لم يكن لهم ثواب، لأنهم لم يريدوا الآخرة، فعليك أيها المتدبر لهذه الآية أن تنزع نفسك عن حب الدنيا وزينتها ورياستها وحب الثناء فيها، وأن يكون همك أخراك لتنال الملك الدائم وتنجى من العذاب الأليم، واحذر أن تريد بأعمالك الصالحة الدنيا.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((حُبُّ الثَّنَاءِ مِنَ النَّاسِ يُعْمِي وَيَصُمُّ)) [تيسير المطالب ٥٥٥].

وقال علي عليه السلام: (إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وَأَخْيَبَهُمْ سَعْياً، رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ آمَالِهِ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ، وَقَدِمَ عَلَى الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ).

وقال عليه السلام: (وَمَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَالْآخَرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهْمَتِهِ)، أي نصيبه.

وقال عليه السلام: (وَلَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ!).

وقال عليه السلام: (مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّهَا، وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْغِرُّ الْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ الْعَاقِلُ!).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴿١١٣﴾﴾ [هود:١١٣]

هذا نَصٌّ صريح أنَّ الركون إلى الظلمة محرم مُتوَعَّدٌ عليه بالنار، وأن ليس له ناصر ينصره من عذاب الله ولا ينصره جل وعلا، وهذا فيمن رَكِنَ إلى الظلمة فكيف بمن ظلم.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لكَعْبِ بنِ عُجْرَةَ: ((يا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ؛ أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ)) قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قَالَ: ((أُمَرَاءُ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي لَا يَهْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُونَ عَلَى حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ عَلَى كَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ، يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ؛ النَّاسُ غَادِيَانِ مُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ بَايِعُهَا فَمُوبِقُهَا)) [تيسير المطالب ٤١٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ أَعَانَ بِبَاطِلٍ لِيُبْطِلَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ)) [تيسير المطالب ٤١٣].

هذا والركون: الميل إليهم في شيء من الدِّين أو رضاً بأعمالهم أو إعانتهم أو إظهار موالاتهم.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الْفُقَهَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا)) قِيلَ: وَمَا

دُخُولُهُمْ فِي الدُّنْيَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((اتِّبَاعُ السُّلْطَانِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَاحْذَرُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ)) [تيسير المطالب ٢٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف:٨٧]

روح الله: فرجه وتنفيسه، مأخوذ من الراحة بعد التعب، والنَّسمَة بعد النصب، وقوله: ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يُحْتَمَلُ كُفْرَ النعمة حيث أساءوا الظن بالله، وأما المؤمن فهو يرجو الله سبحانه في الشدائد والبلاء، ويُحْتَمَلُ كُفْرَ الجحود حيث اعتقد أن الله غير قادر، أو ليس بكريم ونحو ذلك. فدلت هذه الآية على أن أحداً لا ييأس من فرج الله، وأنه يحسن الظن بالله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح:٥-٦].

وروي أن رجلاً لف فراخا من غيظة في كساء فاستدارت أمهن على الرجل فكشف لها عن الفراخ فوقعت عليهن، فلفهن جميعاً، فقال له ﷺ: ((ضَعْهُنَّ)) فَوَضَعَهُنَّ، فَأَبَتْ أُمُّهُنَّ إِلَّا لُزُومَهُنَّ، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:[((أَتَعْجَبُونَ لِرَحْمَةِ أُمِّ الْفِرَاخِ لِفِرَاخِهَا؟!)) قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ]: ((فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً لَـ(اللهُ) عَزَّ وَجَلَّ أَرْحَمُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ أُمِّ الْفِرَاخِ لِفِرَاخِهَا)) [تيسير المطالب ٥٧١].

وقال علي عليه السلام: (لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللهِ، لِقَوْلِ الله سبحانه: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف:٩٩] وَلَا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللهِ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف:٨٧].

وقال علي عليه السلام: (الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢﴾ [الرعد: ١٩-٢٢].

أي يتذكر الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا، واللب: العقل.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ خَلَقَ الدَّوَاةَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١] ثُمَّ قَالَ لَهُ: خُطَّ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ خَلْقٍ أَوْ أَجَلٍ أَوْ رِزْقٍ أَوْ عَمَلٍ إِلَى مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، ثُمَّ خَلَقَ الْعَقْلَ فَاسْتَنْطَقَهُ فَأَجَابَهُ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ، بِكَ آخُذُ، وَبِكَ أُعْطِي، أَمَا وَعِزَّتِي لَأُكْمِلَنَّكَ فِيمَنْ أَحْبَبْتُ وَلَأُنْقِصَنَّكَ فِيمَنْ أَبْغَضْتُ، فَأَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلاً أَخْوَفُهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَطْوَعُهُمْ لَهُ، وَأَنْقَصُ النَّاسِ عَقْلًا أَخْوَفُهُمْ لِلشَّيْطَانِ وَأَطْوَعُهُمْ لَهُ)) [مسند الإمام زيد ٢٧٠ - أمالي أحمد بن عيسى].

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ﴾ يحتمل أن يكون مبتدأ خبره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ ويحتمل أن يكون صفة لأولي الألباب، وعهد الله: كل ما عهد إلينا وألزمنا من الأوامر والنواهي، فالوفاء بأن نأتي بجميع المأمورات وننتهي عن جميع المنهيات،

ويدخل فيه الوفاء بالعقود في المعاملات، ويدخل فيه الأمانات.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴿٢٠﴾﴾ أي لا ينقضون ما ألزمهم الله وعهد عليهم ولا ما التزمه العبد باختيار نفسه كالنذر بالطاعات، ولا ما التزمه العبد بينه وبين المخلوقين من المواثيق.

وقوله تعالى: ﴿يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الأرحام والقرابات، ووصل قرابة رسول الله ﷺ، لآية المودة وغيرها من الأخبار كثيرة، دالة على وجوب اتِّباعهم ومودتهم، ويدخل فيه قرابة المؤمنين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ونحوه، وإيصال الجميع بالبر والإحسان، والذب عنهم، والشفقة والنصيحة لهم، وطرح التفرقة بين أنفسهم، ويدخل فيه وصل الأيمان وجميع ما أمر الله بوصله.

قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي وعيده كله ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴿٢١﴾﴾. فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي لا لغرض سواه، وهو عام لكل ما يصبر عليه من المكاره التي من الله أو من الخلق لوجه الله تعالى، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كما فرضت ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الزكاة وغيرها، هذا وإن كان الصلاة والزكاة داخلين في الجملة الأولى إلا أنه تعالى أفردهما بالذكر تنبيهاً على أنهما أشرف من سائر العبادات.

قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ أي يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ كالجهل بالحلم، والأذى بالصبر، والمنكر بالمعروف، والمعصية بالطاعة، والذنب بالتوبة.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴿٢٢﴾﴾ أي عقبى دار الدنيا وهي الجنة،

والعقبى عند العرب هي العوض من كل فائت، والدار المحمودة هي التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها، وهي ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أي إقامة ﴿يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣﴾ [الرعد:٢٣] من أبواب الجنة والقصور، أول دخولهم بالتهنئة، يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ أي بصبركم في الدنيا ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد] فنعم عاقبة الدار التي عملتم فيها وما أعقبكم منها وهي أحسن العواقب إذ هي النعيم الدائم ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة:١٧].

فعليك أيها العاقل بالعمل بما تضمنت هذه الآية الكريمة تكون من جيران الله في داره العظيمة.

ومما يشاكل هذه الآية عنه ﷺ: ((قَسَّمَ اللهُ الْعَقْلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ، فَمَنْ كُنَّ فِيهِ كَمُلَ عَقْلُهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنَّ فِيهِ فَلَا عَقْلَ لَهُ: حُسْنُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ تَعَالَى، وَحُسْنُ الطَّاعَةِ لَهُ، وَحُسْنُ الصَّبْرِ عَلَى أَمْرِهِ جَلَّ وَعَزَّ)) [تيسير المطالب ٢١٢].

وقال ﷺ عند تلاوة: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت]، قال: ((الْعَالِمُ الَّذِي عَقَلَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَعَمِلَ بِطَاعَتِهِ وَاجْتَنَبَ سَخَطَهُ)) [تيسير المطالب ٢١٢].

وقال ﷺ: ((مَا تَمَّ دِينُ إِنْسَانٍ قَطُّ حَتَّى يَتِمَّ عَقْلُهُ)) [تيسير المطالب ٢٣٦ - حقائق المعرفة ٥٦].

وقال ﷺ: ((لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا)) [تيسير المطالب ٢٣٨].

وقال ﷺ: ((لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِناً حَتَّى يَحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ شَرِيكَهُ وَالْسَّيِّدِ عَبْدَهُ، وَيَعْلَمُ مَا مَطْعَمُهُ، وَمَا مَشْرَبُهُ، وَمَا مَلْبَسُهُ، أَمِنْ حَلَالٍ ذَلِكَ، أَمْ مِنْ حَرَامٍ)) [تيسير المطالب ٥١١].

وقال: ((قَالَ إبْلِيسُ: ابْنَ آدَمَ؛ إذَا نِلْتُ مِنْكَ ثَلَاثاً مَا أُبَالِي كَيْفَ كَانَتْ حالُكَ: إذَا اكْتَسَبْتَ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَأَنْفَقْتَهُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ، وَمَنَعْتَ مِنْهُ حَقَّهُ)) [تيسير المطالب ٥١١].

وقال ﷺ: ((لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا زَكَاةَ لَهُ، وَلَا زَكَاةَ لِمَنْ لَا وَرَعَ لَهُ)) [تيسير المطالب ٥١١].

وقال ﷺ: ((الْإِسْلَامُ لِبَاسُهُ الْحَيَاءُ، وَزِينَتُهُ الوَفَاءُ، وَمُرُوءَتُهُ العَمَلُ الصَّالِحُ، وَعِمَادُهُ الوَرَعُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ وَأَسَاسُ الْإِسْلَامِ حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ)) [تيسير المطالب ٥١٢].

وقال ﷺ: ((إذَا ظَهَرَ الْقَوْلُ، وَاخْتُزِنَ الْعَمَلُ، وَأْتَلَفَتِ الْأَنْفُسُ، وَاخْتَلَفَتِ القُلُوبُ، وَتَقَاطَعَتِ الْأَرْحَامُ هُنَالِكَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ)) [تيسير المطالب ٥١٥].

وعنه ﷺ: ((مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ، وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ؛ فَهُوَ مِمَّنْ كَمُلَتْ مُرُوءَتُهُ وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ، وَوَجَبَ أَجْرُهُ، وَحَرُمَتْ غِيبَتُهُ)) [تيسير المطالب٥٣٦ - صحيفة الرضا].

وقال ﷺ: ((إيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مُحَارِمَهُمْ)) [تيسير المطالب ٥٣٦].

وقال علي عليه السلام: (إنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ).

وقال عليه السلام: (عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ).

وقال عليه السلام: (مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ، وَمَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ).

وقال عليه السلام: (مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِيَ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنِ اعْتَذَرَ إِلَى اللهِ عَذَرَهُ، وَمَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ)) [تيسير المطالب ٤٥٨].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنِ اعْتَذَرَ إِلَى أَخِيهِ بِمَعْذِرَةٍ فَلَمْ يَقْبَلْهَا مِنْهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ خَطِيئَةِ صَاحِبِ الْمُكُوسِ[1])) [تيسير المطالب ٤٥٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم:١٢]

[التوكل وحاجته إلى الصبر]

أي قالت الرسل لأممهم هذا، أيْ أيُّ عذرٍ لنا في ترك التوكل عليه، و ﴿سُبُلَنَاۚ﴾: طرقنا في الدين، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ﴾ بأنواع الأذى من الإهانة والضرب والتكذيب ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا يتوكل المتوكل إلا عليه، فعليك بالاقتداء بأنبياء الله تكون من أحباء الله، فبهداهم اقتده، وتوكل، واستعمل الصبر، وأقْصِر التوكل عليه، واترك غيره ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ [الطلاق:٣].

---

(١) الْمُكُوسُ جَمْعُ مَكْسٍ، وهو: الضَّرِيبَةُ الَّتِي يأخذُها الماكِسُ، وَهُوَ العَشَّارُ. ومنه الحديث: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صاحِبُ مَكْسٍ))، (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٣٤٩).

وقال علي عليه السلام: (مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللهِ! وَأَحْسَنُ مِنْهُ تَـيْـهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ اتِّكَالاً عَلَى اللهِ).

وقال عليه السلام: (مَنْ صَبَرَ صَبْرَ الْأَحْرَارِ وَإِلَّا سَلَا سُلُوَّ الْأَغْمَارِ).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر].

وقد مدح الله الصبر في كتابه العزيز وأمر به، وجعل أكثر الخيرات مضافاً إلى الصبر، وأثنى على فاعله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣﴾ [البقرة] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ﴾ [السجدة: ٢٤] ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه الصبر في نيف وسبعين موضعاً في كتابه، وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ويروى لعلي عليه السلام من غير هذه الكتب:

اصْـبرْ عـلى مَضَـضِ الإِدْلَاجِ في السَّـحَر ... وفي الـرَّوَاحِ إلى الطَّاعـاتِ فِي البُكَـرِ

إِنِّي رَأَيْـتُ وفي الأَيَّـامِ تَجْرِبَـةٌ ... لِلصَّـبْرِ عاقِبَـةً مَحْمُـودَةَ الْأَثَـرِ

وَقَـلَّ مَـنْ جَـدَّ في أَمْـرٍ يُؤَمِّلُـهُ ... وَاستَصْـحَبَ الصَّـبْرَ إلاَّ فَـازَ بـالظَّفَر

ولغيره:

مَا أَحْسَـنَ الصَّـبْرَ فِي الـدُّنْيا وَأَجْمَلَـهُ ... عِنْـدَ الْإِلَـهِ وَأَنْجَـاهُ مِـنَ الْجَـزَعِ

مَـنْ شَـدَّ بِالصَّـبْرِ كَفّـاً عِنْـدَ مُؤْلِمَـةٍ ... أَلْـوَتْ يَـدَاهُ بِحَبْـلٍ غَـيْرِ مُنْقَطِـعِ

قوله تعالىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]

قال أمير المؤمنين: (الْعَدْلُ الْإِنْصَافُ، وَالْإِحْسَانُ التَّفَضُّلُ).

وقال: (لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى الثِّقَةِ بِالظَّنِّ).

أمر الله سبحانه في هذه الآية بثلاثة أشياء وهي: العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وهي صلة الرحم، ونهى عن ثلاثة أشياء وهي: الفحشاء والمنكر والبغي، الفحشاء: كُلُّ ما تزايد قبحه، والمنكر: ما ينكره العقل أو الشرع من الكفر وسائر المعاصي، والبغي: الظلم للناس، ﴿يَعِظُكُمۡ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ۝٩٠﴾ أي لكي تتعظوا، وقيل إن هذه الآية قد عَمَّتْ جميع ما يتعلق بمصالح الدين والدنيا.

وعن أبي ذر قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: ((كَانَتْ أَمْثَالاً كُلّهَا، أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُسَلَّطُ الْمُبْتَلَى الْمَغْرُورُ؛ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَكِنِّي بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنِّي لَا أَرُدُّهَا، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ كَافِرٍ، ..... وَكَانَ فِيهَا: وَعَلَى الْعَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوباً عَلَى عَقْلِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَتَفَكَّرُ فِيهَا فِي صُنْعِ اللهِ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ)) [المصابيح في السيرة ١٣٤- تيسير المطالب ٤٦٢].

وعنه ﷺ: ((لَا يَنْتَجِيَنَّ اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ)) [تيسير المطالب ٤٦٧].

وعنه ﷺ: ((اللهُ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ ....، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ

إِلَّا بِحُسْنِ الْخُلُقِ)) [تيسير المطالب ٤٥٠ من حديث طويل، وذكره في الحدائق].

وعن علي عليه السلام: (إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ الْمَسِيحِ أَنْ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: لَا تَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بُيُوتِي إِلَّا بِقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ، وَأَبْصَارٍ خَاشِعَةٍ، وَأَيْدٍ نَقِيَّةٍ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي لَا أَقْبَلُ مِنْهُمْ دَعْوَةً وَلِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِي قِبَلَهُمْ مَظْلَمَةٌ) [تيسير المطالب ٤٩٦].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ غَلَّ[1] شِبْراً مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَ بِهِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَقِتَالُ الْمُسْلِمِ دُونَ مَالِهِ شَهَادَةٌ)) [تيسير المطالب ٥٣٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَحْمِلُوا عَلَى اللهِ ذُنُوبَكُمْ)) [تيسير المطالب ٥٣٥].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ كُلِّ مَظْلَمَةٍ)) [تيسير المطالب ٥٣٥].

وقال علي عليه السلام: (لَا يُزَهِّدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ، وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

وقال عليه السلام: (بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ).

وقال عليه السلام: (اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ فِي الْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ).

وقال عليه السلام: (أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ للهِ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ).

وقال عليه السلام: (مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ).

وقال علي عليه السلام: (إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ: الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْجِهادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ،

---

(١) في الأمالي: غصب.

وَإِقَامُ الْصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ(١) الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ).

قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل:١٢٥-١٢٦]

﴿سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ أي دينه بالمقالة المحكمة، وهو الدليل الموضِّح للحق المزيل للشبه، ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ التي لا تخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم، ودخل في ذلك الدعاء بالقرآن والسنة، وقوله: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ أي بالرفق واللين من غير فضاضة، وتلطف بالجهال بلين المقال حتى تستميل قلوبهم، وقوله: ﴿بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ أمر تعالى برعاية العدل والإنصاف، ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ﴾ عن المجازاة ﴿لَهُوَ﴾ أي الصبر ﴿خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ وهذا صريح بأنَّ الأَوْلى ترك الانتقام، والرحمة أفضل من القسوة، والعفو أفضل من الإيلام.

ودلت الآية على لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يخشن إن كفى اللين، وعلى أن العفو أحسن من المجازاة.

قال أمير المؤمنين: (وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، عِنْدَ الْأَمْرِ

(١) رَحَضَهُ كمنعه: غَسَلَهُ، تمت، هامش الأصل.

بالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنكَرِ، إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، .... إلى أن قال: وَأَفضَلُ مِنْ ذلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ).

ومن أمالي المرشد بالله عنه عليه السلام: ((كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ، مَا خَلَا أَمْرَهُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهْيَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ)) [الأمالي الخميسية ٣١٨/٢].

وفيها عنه عليه السلام: ((مَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَظُلِمَ فَغَفَرَ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ، أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)) [الأمالي الخميسية ٢٥٩/٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء:٢٩]

أي لا تمسكها عن البذل كل الإمساك حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك، ولا تبسطها في النفقة والعطية كل البسط، فأمر سبحانه بالاقتصاد، وقوله: ﴿مَلُوماً﴾ راجعٌ إلى الأول و﴿مَّحْسُورًا﴾ أي منقطعاً، لا شيء عندك، راجعٌ إلى الثاني.

قال علي عليه السلام: (مَا عَالَ امْرُؤٌ اقْتَصَدَ).

وقال عليه السلام: (السَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً، فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَتَذَمُّمٌ).

وقال عليه السلام: (كُنْ سَمْحاً وَلَا تَكُنْ مُبَذِّراً، وَكُنْ مُقَدِّراً وَلَا تَكُنْ مُقَتِّراً).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان:٦٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾ [الإسراء:٢٧] ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩][التغابن:١٦].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ۝٣٣ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ۝٣٤ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٣٥ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨﴾ [الإسراء: ٣٢-٣٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ هو عطف على ما تقدم من قوله تعالى: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وقوله سبحانه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦] والقربى هنا قربى رسول الله، خاطب الله نبيه بأنْ يؤتيهم حقوقهم من الخمس والغنيمة والفيء، وقوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾[الإسراء: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿فَٰحِشَةً﴾ أي قبيحة زائدة على حد القبح، ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ يعني سوء السبيل إلى النار.

وقال ﷺ: ((فِي الزِّنَا سِتُّ خِصَالٍ: ثَلَاثٌ فِي الدُّنْيَا، وَثَلَاثٌ فِي الْآخِرَةِ، فَأَمَّا الَّتِي فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهَا تُذْهِبُ بالبَهَاءِ، وَتُعَجِّلُ الْفَنَاءَ، وَتَقْطَعُ الرِّزْقَ. وَأَمَّا الَّتِي فِي الْآخِرَةِ فَسُوءُ الْحِسَابِ، وَسَخَطُ الرَّحْمَنِ، وَالْخُلُودُ فِي النَّارِ)) [تيسير المطالب ٥٤٥].

وقوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي إلا من قتل بحق في جميع الأسباب التي يحل بها القتل،

وقوله: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ يعني ولي المقتول، والسلطان استيفاء القصاص أو أخذ الدية أو العفو، ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ بل النفس بالنفس، ولا مُثْلَةَ، ولا يقتل غير القاتل، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ أي الولي أو المقتول؛ النصر من الله في الدنيا بالقصاص وفي الآخرة بالثواب.

وعنه ﷺ: ((لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ سَنَّ الْقَتْلَ)) [تيسير المطالب ٥٣٤].

وفي أمالي المرشد بالله قال ﷺ: ((إِنَّ اللهَ أَبَى عَلَيَّ فِيمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا)) [الأمالي الخميسية ٤٧/١].

وقوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي الخصلة التي هي أحسن وهي حفظه وتثميره حتى يبلغ أشده، وهو الرشد؛ لحفظ ماله والقيام به.

وفي أمالي المرشد عنه ﷺ: ((يَجِيءُ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَعْمَالُهُمْ كَجِبَالِ تُهَامَةَ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مُسْلِمِينَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، كَانُوا يُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، وَيَأْخُذُونَ هَيْنَةً مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا وَثَبُوا عَلَيْهِ)) [الأمالي الخميسية ٢٧٩/٢].

فهذا عام في إتلاف أموال الناس، وأحق الناس بالنهي عن إتلاف أموالهم هو اليتيم؛ لصغره وضعفه، ولذا خصه الله بالذكر في غير موضع. وقوله: ﴿مَسْـُٔولًا﴾ أي مطلوباً مِن المعاهِد الوفاء به يوم الحساب، وكم أكد الله الوفاء به في كتابه الذي من تمسك به هداه، ومن استدل به أرشده بهداه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد] ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ

﴿ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف]

وكفاك قصة ثعلبة وما ذكر الله من خبره: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ .. إلى قوله: فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:٧٦-٧٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾ والمقصود منه إتمامه، وذكر الوعيد الشديد في نقصانه في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ثم قال: ﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن] ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الأعراف:٨٥] [هود:٨٥] [الشعراء:١٨٣] والقسطاس: أي الميزان، ﴿ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: أي السوي، ذلك الإيفاء خير من التطفيف من حيث أن الإنسان يتخلص عن الذكر القبيح في الدنيا والعقاب في الآخرة، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي ما تُؤَوِّلَ إليه؛ لأن العدل فيه يُعَوِّلُ الناسُ عليه، وتميل القلوب إليه، وأما في الآخرة فالثواب الجزيل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ أي لا تتبع ما ليس لك به علم، بل بالحدس والتوهم.

قال علي عليه السلام: (أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ لَكَانَتْ لِذلِكَ أَهْلاً: لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَسْتَحْيِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحْيِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ.

وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ) [تيسير المطالب ٢١١].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء] فينبغي لكل مسلم أن يحافظ على حواسه، ويَحُولَ بينها وبين الهوى بجهده.

قال علي عليه السلام: (مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ، ... إلى قوله: أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

فسئل عن معنى قوله، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه، ثمّ قال: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ).

وقال: (إِنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ).

وفي أمالي المرشد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الْكَذِبُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَهْبِطُ إِلَى أَسْفَلِ دَرْكٍ فِي جَهَنَّمَ بِالْكَذِبِ)) [الأمالي الخميسية ٢٤/١].

وقوله: ﴿مَرَحًا﴾ أي بطراً وكبراً، وامش لله خاشعاً متواضعاً، والمرح: شدة الفرح، والمراد أن يمشي الإنسان مشياً يدل على الكبر، وخرق الأرض ثَقْبُها، فلا تقدر حال الانخفاض على خرقها، وحال الارتفاع لا تقدر على أن تصل إلى رؤوس الجبال، بل أنت ضعيفاً عن هذا، فلا يليق بك التكبر، فتحتك الأرض لا تقدر على خرقها، وفوقك الجبال لا تقدر على الوصول إليها، فأنت محاط بك من فوقك وتحتك بنوعين من الجماد، وأنت أضعف منهما بكثير، فلا يليق بك التكبر.

وفي أمالي المرشد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((رِيحُ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَلَا يَجِدُ رِيحَهَا مُخْتَالٌ، وَلَا مَنَّانٌ)) [الأمالي الخميسية ٤٢/١].

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ أي التي نهى الله عنها فيما تقدم ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء:٣٨] وإذا كانت سيئة بنص القرآن فتجنبها؛ إذ قد توعد الله مُكْتَسِبَ السيئات بالعذاب، قال تعالى - وكفى بما قاله لمن تدبره ووعاه وخاف من عقابه في منقلبه ومثواه -: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا

﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس] ومعنى ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ أي تغشاهم، والذلة كناية عن الهوان والتحقير، ومعنى: ﴿عَاصِمٍ﴾ أي لا يمنعهم أحدٌ من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء].

أمر الله سبحانه بالمداراة وأن يقول العباد ما لا يهيج ولا يغري بالعداوة، بل يقول المؤمنون للكفار التي هي أحسن وهي نظير: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦] ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه:٤٤] فيخاطبوا بالحسن ليصير ذلك سبباً لجذب قلوبهم وميل طباعهم إلى قبول الحق، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يوسوس ويغري ويفسد، و ﴿عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ أي بَيِّنٌ العداوة، وهي عامة للكافر والمسلم، وإن كانت للكافر فتخاطب المسلمين بالتي هي أحسن أحق وأولى، والاحتراس من أن يلقي بينهم العداوة الشيطان أشد وأوجب.

وفي أمالي المرشد، عنه ﷺ: ((كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَارْضَ لِلنَّاسِ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ)) [الأمالي الخميسية ٢/٢١٥].

وفيها قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَشْهَدُ أَنِّي

رَسُولُ اللَّهِ، فَلْيَسَعْهُ بَيْتُهُ، وَلْيَبْكِ عَلَى خَطِيئَتِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا لِيَغْنَمَ، أَوْ لِيَسْكُتْ عَنْ شَرٍّ، فَيَسْلَمَ)) [الأمالي الخميسية ٢/٢١٦].

وقال علي عليه السلام: (ازْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ).

قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨]

﴿ٱصۡبِرۡ﴾ أي احبس نفسك، ﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ أي دائبين على الدعاء في كل وقت، أو أراد الفجر والعصر، ووجهه أن تعظيمه ورضاه لا لغرض سواه.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ)) رواه في أمالي المرشد [الأمالي الخميسية ٢/٢٦٧].

وفيها قال صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس: ((يَا غُلَامُ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِمَا لَمْ يَقْضِهِ اللَّهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، أَوْ يَضُرُّوكَ بِمَا لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، اعْمَلْ لِلَّهِ بِالشُّكْرِ فِي الْيَقِينِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، فَإِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَإِنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، قَالَ: كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْيَقِينِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ فَتَحْتَ بَابَ الْيَقِينِ)) [الأمالي الخميسية ٢/٢٦٨].

قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي تنصرف عنهم لرثاثتهم إلى غيرهم من ذوي الزينة.

وعن أبي ذر: أَوْصَانِي رَسُولُ الله ﷺ بِسَبْعٍ: أَوْصَانِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدّنُوِّ مِنْهُمْ، ....)) [تيسير المطالب ٤١٩].

وقوله: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهي ما تقطع عن الله سبحانه، فنُهِيَ ﷺ أن يزدري فقراء المسلمين طموحاً إلى زي الأغنياء، وهذا الأدب لجميع الخلق.

وفي أمالي المرشد عن علي عليه السلام، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَأْتِي ضَعْفَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقْعُدُ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: ((هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ)) [الأمالي الخميسية ٢٥٥/٢].

وفيها عن عمار سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ زَيَّنَكَ بِزِينَةٍ لَمْ يُزَيِّنِ الْعِبَادَ بِزِينَةٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا: الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَحُبُّكَ لِلْمَسَاكِينِ، فَجَعَلَكَ تَرْضَى بِهِمْ أَتْبَاعًا، وَيَرْضَوْنَ بِكَ إِمَامًا)) [الأمالي الخميسية ٢٥٣/٢].

وفيها قال علي عليه السلام: (الدُّنْيَا جِيفَةٌ وَطُلَّابُهَا كِلَابٌ، فَمَنْ أَرَادَ الْجِيفَةَ فَلْيَصْبِرَنَّ عَلَى مُخَالَطَةِ الْكِلَابِ) [الأمالي الخميسية ٢٦٧/٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] أي القرآن، واتَّبَعَ ما دعته إليه نفسه، و ﴿فُرُطاً﴾ أي إسرافاً، والمجاوزة في القدر بما لا يجوز.

وعنه ﷺ: ((إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ: تَحَبَّبُوا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ، قَالُوا: يَا رُوحَ اللهِ بِمَا نَتَحَبَّبُ إِلَى اللهِ وَنَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ؟ قَالَ:

بِبُغْضِ أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالْتَمِسُوا رِضَى اللهِ بِسَخَطِهِمْ)) [تيسير المطالب ٤٥٣].

وفي أمالي المرشد بالله قال ﷺ: ((الْقَوا أَهْلَ الْمَعَاصِي بِالْوُجُوهِ الْمُكْفَهِرَّةِ)) [الأمالي الخميسية ٣١٩/٢].

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف] يرجو: أي يأمل، ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ البعث والنشور أو ثواب ربه، و ﴿صَٰلِحًا﴾ أي مطابقاً للكتاب والسنة، ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾ أي لا يرائي بعبادة ربه أحداً.

وسئل ﷺ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله فَإِنَّ الرَّجُلَ يُجَاهِدُ لِيَغْنَمَ وَيُجَاهِدُ لِيُذْكَرَ؟ فَقَالَ ﷺ: ((مَنْ جَاهَدَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ)) [تيسير المطالب ٥٥٥].

وفي أمالي المرشد بالله، عن علي عليه السلام قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَعْمَلُ الْعَمَلَ أُسِرُّهُ فَيُطَّلَعُ عَلَيْهِ فَيُعْجِبُنِي؟ فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ..﴾ الآية. [الأمالي الخميسية ٣٠٤/٢].

وفيها عنه ﷺ: ((مَنْ قَامَ بِخُطْبَةٍ لَا يَلْتَمِسُ بِهَا إِلَّا رِيَاءً وَسُمْعَةً، وَقَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَوْقِفَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ)) [الأمالي الخميسية ٣٠٥/٢].

وفيها قال ﷺ: ((يَا بَقَايَا الْعَرَبِ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الرِّيَاءُ وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ)) [الأمالي الخميسية ٣٠٥/٢].

وفيها قال ﷺ: ((مَنْ يُرَاءِ يُرَاءِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعِ[1] اللَّهُ بِهِ)) [الأمالي الخميسية ٣٠٥/٢].

---

(١) أيْ يُشْهِرُهُ وَيُنَدِّدُ بِهِ، تمت، نهاية معنى.

وفيها عنه ﷺ: ((مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعِلْمِهِ؛ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَحَقَّرَهُ ، وَصَغَّرَهُ)) [الأمالي الخميسية ٣٠٥/٢].

وفيها عنه ﷺ: ((مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ طُمِسَ وَجْهُهُ، وَمُحِقَ ذِكْرُهُ، وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فِي النَّارِ)) [الأمالي الخميسية ٣٠٦/٢].

وفيها عنه ﷺ: ((أَسِرُّوا مَا شِئْتُمْ، فَوَاللَّهِ مَا أَسَرَّ عَبْدٌ إِلَّا أَلْبَسَهُ اللَّهُ رِدَاءَهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَسَرَّ شَرًّا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حِجَابًا لَأَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الشَّرَّ حَتَّى يَكُونَ ثَنَاؤُهُ فِي النَّاسِ شَرًّا)) [الأمالي الخميسية ٣٠٦/٢].

وفيها قال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا جَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِبَقِيعٍ وَاحِدٍ يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ، مَنْ كَانَ يَعْمَلُ عَمَلًا فِي الدُّنْيَا كَانَ لِي فِيهِ شَرِيكٌ فَأَنَا أَدَعُهُ الْيَوْمَ وَلَا أَقْبَلُ إِلَّا خَالِصًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٣] [الحجر:٤٠] ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ...﴾ [الكهف:١١٠])) الآية [الأمالي الخميسية ٣٠٦/٢].

وفيها عنه ﷺ: ((مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ)) [الأمالي الخميسية ٣٠٩/٢ - البساط ٥٠].

وفيها عنه ﷺ: ((أَدْنَى الرِّيَاءِ الشِّرْكُ، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأَتْقِيَاءُ الْأَخْفِيَاءُ، الَّذِينَ إِذَا مَاتُوا لَمْ يُفْقَدُوا، وَإِذَا شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا، أُولَئِكَ أَئِمَّةُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الْعِلْمِ)) [الأمالي الخميسية ٣١٠/٢ - البساط ٤٨].

وقال رسول الله ﷺ: ((حُبُّ الثَّنَاءِ مِنَ النَّاسِ يُعْمِي وَيُصِمُّ)) [تيسير المطالب ٥٥٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:١٣١-١٣٢]

أي لا تمد نظرهما ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦ﴾ أي جعلناه بُلْغَةً نمتعهم به إلى حين، والنظر المنهي عنه هو أن يطول نظره استحساناً وإعجاباً وتحسراً وتلهفاً، بل يعدل إلى الزهد في هذه الدنيا الفانية، وقوله: ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أي أصنافاً، والزهرة زينة الدنيا وبهجتها، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي لنبلوهم فيستوجبوا العذاب إن لم يشكروا، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الجنة خيرٌ مما أوتوه وأبقى من حطام الدنيا الفانية، وكذا ما رُزق المؤمنون من الحلال خيرٌ من هذا؛ لأنه لا تخلو أموال الظلمة في الغالب من الحرام.

وعن علي عليه السلام: (وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْثَقَ مِنْهُ مِمَّا فِي يَدِهِ) [تيسير المطالب ٥٠٦ - وفي الاعتبار ٢٦١ عن رسول الله].

وقال: (عِبَادَ اللهِ؛ انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، [الصَّادِفِينَ عَنْهَا]؛ فَإِنَّهَا وَاللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ، وَتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الْآمِنَ، لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ، سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا).

وفي أمالي المرشد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَرْبَعُ خِلَالٍ مُفْسِدَةٌ لِلْقَلْبِ: مُجَارَاةُ الْأَحْمَقِ، فَإِنْ جَارَيْتَهُ كُنْتَ مِثْلَهُ، وَإِنْ سَكَتَّ عَنْهُ سَلِمْتَ مِنْهُ، وَكَثْرَةُ الذُّنُوبِ

مَفْسَدَةٌ لِلْقَلْبِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ وَالْخُلْوَةُ بِالنِّسَاءِ وَالِاسْتِمْتَاعُ مِنْهُنَّ، وَالْعَمَلُ بِرَأْيِهِنَّ، وَمُجَالَسَةُ الْمَوْتَى)) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنِ الْمَوْتَى؟ قَالَ: ((كُلُّ غَنِيٍّ قَدْ أَطْغَاهُ غِنَاهُ)) [الأمالي الخميسية ٢٩١/٢ - الاعتبار ٩٩].

وفيها قال ﷺ: ((لَنْ يَعْدُوَ الْمُؤْمِنَ إِحْدَى خُلَّتَيْنِ: ذَمَامَةٌ فِي وَجْهِهِ، أَوْ قِلَّةٌ فِي مَالِهِ)) [الأمالي الخميسية ٢٨٨/٢].

وفيها قال ﷺ: ((قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ؛ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ)) [الأمالي الخميسية ٢٨٥/٢].

وفيها عن عائشة قال ﷺ: ((إِنَّمَا يَكْفِيكِ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ، فَإِنْ سَرَّكِ اللُّحُوقُ بِي فَإِيَّاكِ وَمُخَالَطَةَ الْأَغْنِيَاءِ، وَلَا تَسْتَبْدِلِي ثَوْبًا حَتَّى تُرَقِّعِيهِ)) [الأمالي الخميسية ٢٧٤/٢].

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]

أي أقبل عليها أنت مع أهلك، واستعينوا بها على حوائجكم وخصاصتكم، ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ﴾ أي لا نكلفك رزقاً لنفسك ولا لغيرك، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾ فلا تهتم بأمر المعيشة فإنك تُكفى؛ ففرِّغ بالك لأمر الآخرة، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ أي الجنة لأهل التقوى.

وفي أمالي المرشد عنه ﷺ، قال: ((أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الدُّنْيَا: مَنْ خَدَمَكِ

قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي تنصرف عنهم لرثاثتهم إلى غيرهم من ذوي الزينة.

وعن أبي ذر: أَوْصَانِي رَسُولُ الله ﷺ بِسَبْعٍ: أَوْصَانِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدّنُوِّ مِنْهُمْ، ....)) [تيسير المطالب ٤١٩].

وقوله: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهي ما تقطع عن الله سبحانه، فنُهِيَ ﷺ أن يزدري فقراء المسلمين طموحاً إلى زي الأغنياء، وهذا الأدب لجميع الخلق.

وفي أمالي المرشد عن علي عليه السلام، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَأْتِي ضَعْفَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقْعُدُ مَعَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: ((هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ)) [الأمالي الخميسية ٢٥٥/٢].

وفيها عن عمار سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ زَيَّنَكَ بِزِينَةٍ لَمْ يُزَيِّنِ الْعِبَادَ بِزِينَةٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا: الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَحُبُّكَ لِلْمَسَاكِينِ، فَجَعَلَكَ تَرْضَى بِهِمْ أَتْبَاعًا، وَيَرْضَوْنَ بِكَ إِمَامًا)) [الأمالي الخميسية ٢٥٣/٢].

وفيها قال علي عليه السلام: (الدُّنْيَا جِيفَةٌ وَطُلَّابُهَا كِلَابٌ، فَمَنْ أَرَادَ الْجِيفَةَ فَلْيَصْبِرَنَّ عَلَى مُخَالَطَةِ الْكِلَابِ) [الأمالي الخميسية ٢٦٧/٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] أي القرآن، واتَّبَعَ ما دعته إليه نفسه، و ﴿فُرُطاً﴾ أي إسرافاً، والمجاوزة في القدر بما لا يجوز.

وعنه ﷺ: ((إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ: تَحَبَّبُوا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ، قَالُوا: يَا رُوحَ اللهِ بِمَا نَتَحَبَّبُ إِلَى اللهِ وَنَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ؟ قَالَ:

قوله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾ [الحج:٣٥]

﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ المطيعين المتواضعين، من الْخَبْتِ وهو المطمئن من الأرض، يعني الخاشعين، ثم وصفهم تعالىٰ بأنهم ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي خافت وفزعت هيبةً لجلاله وبطشه بالعصاة، فتقشعر جلودهم من خشية الله تعالىٰ، والصابرين علىٰ ما أصابهم من المحن والمصائب، ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ علىٰ ما أُمِروا من تمامها في أوقاتها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي يتصدقون، زكاةً وغيرها، فأمر الله نبيه ﷺ بأن يبشر هؤلاء؛ ونعم البشارة دار الكرامة.

قال أمير المؤمنين للأحنف: ادْعُ أَصْحَابِي، فَدَعَاهُمْ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مُتَخَشِّعُونَ كَأَنَّهُمْ شِنَانٌ بَوَالٍ[1]، فَقَالَ الْأَحْنَفُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَا هَذَا الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ، أَمِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ أَمْ مِنْ هَوْلِ الْحَرْبِ؟

قَالَ عليه السلام: لَا يَا أَحْنَفُ.. إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً تَنَسَّكُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا تَنَسُّكَ مَنْ هَجَمَ عَلَىٰ مَا عَلِمَ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُشَاهِدُوهَا، فَحَمَّلُوا أَنْفُسَهُمْ كُلَّ مَجْهُودِهَا، فَكَانُوا إِذَا ذَكَرُوا صَبَاحَ يَوْمِ الْعَرْضِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ تَوَهَّمُوا خُرُوجَ عُنُقٍ مِنَ النَّارِ، يَحْشُرُ الْخَلَائِقَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَظُهُورَ كِتَابٍ تَبْدُو فِيهِ فَضَائِحُ ذُنُوبِهِمْ، فَكَادَتْ أَنْفُسُهُمْ تَسِيلُ سَيَلَاناً، وَتَطِيرُ قُلُوبُهُمْ بِأَجْنِحَةِ الْخَوْفِ طَيَرَاناً، وَتُفَارِقُهُمْ عُقُولُهُمْ إِذَا غَلَتْ بِهِمْ مَرَاجِلُ الْمَرَدِّ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ غَلَيَاناً. يَحِنُّونَ حَنِينَ الْوَالِهِ فِي دُجَىٰ الظُّلَمِ، ذُبُلُ الْأَجْسَامِ، حَزِينَةٌ قُلُوبُهُمْ، كَالِحَةٌ وُجُوهُهُمْ، ذَابِلَةٌ شِفَاهُهُمْ خَمِيصَةٌ بُطُونُهُمْ، تَرَاهُمْ سُكَارَىٰ وَلَيْسُوا بِسُكَارَىٰ، هُمْ سُمَّارُ وُحْشَةٍ

(١): شِنَانٌ مفردها شَنٌّ، وهي الْقِرْبَةُ الْخَلَقُ، وَبَوَالٍ: أي باليات، (انظر القاموس المحيط ١٢١٠).

اللَّيَالِي مُتَخَشِّعُونَ، قَدْ أَخْلَصُوا لِلَّهِ أَعْمَالَهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً.

فَلَوْ رَأَيْتَهُمْ فِي لَيْلِهِمْ وَقَدْ نَامَتِ الْعُيُونُ وَهَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ وَسَكَنَتِ الْحَرَكَاتُ مِنَ الطَّيْرِ فِي الوُكُورِ، وَقَدْ نَهْنَهَهُمْ يَوْمَ الْوَعِيدِ، ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴿٩٧﴾﴾ [الأعراف:٩٧] فَاسْتَيْقَظُوا لَهَا فَزِعِينَ، فَقَامُوا إِلَىٰ مَصَافِّهِمْ يعولُونَ، وَيَبْكُونَ تَارَةً، وَيُسَبِّحُونَ لَيْلَةً مُظْلِمَةً بَهْمَاءَ.

فَلَوْ رَأَيْتَهُمْ - يَا أَحْنَفُ - قِيَاماً عَلَىٰ أَطْرَافِهِمْ، مُنْحَنِيَةً ظُهُورُهُمْ عَلَىٰ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ لِصَلَاتِهِمْ، إِذَا زَفَرُوا خِلْتَ النَّارَ قَدْ أَخَذَتْ مِنْهُمْ إِلَىٰ حَلَاقِيمِهِمْ، وَإِذَا أَعْوَلُوا حَسِبْتَ السَّلَاسِلَ قَدْ صَارَتْ فِي أَعْنَاقِهِمْ، وَلَوْ رَأَيْتَهُمْ فِي نَهَارِهِمْ إِذاً لَرَأَيْتَ قَوْماً يَمْشُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ هَوْناً، وَيَقُولُونَ لِلنَّاسِ حُسْناً، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً، وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا. أُولَئِكَ يَا أَحْنَفُ؛ انْتَجَعُوا دَارَ السَّلَامِ..... إلىٰ آخر كلامه عليه السلام).

وفي أمالي المرشد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ ، فَلَهُ الْجَزَعُ)) [الأمالي الخميسية ٢/٢٦١].

وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ)) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: ((يَعْتَمِلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَتَصَدَّقُ)) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: ((يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ)) قِيلَ: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: ((يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ)) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: ((يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ)) [الأمالي الخميسية ٢/٢٤٦].

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ ..﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾[المؤمنون:١-١١]

حكم الله للمؤمنين الذين هم بهذه الأخلاق متصفين بوراثة الفردوس خالدين، فاتَّصِفْ بصفاتهم تكن من الفائزين، ولا تجانب طريقتهم فتكن من الخاسرين.

قوله: ﴿خَٰشِعُونَ﴾ أي ساكنون متواضعون، والخشوع في الصلاة خشية القلب، وسكون الأعضاء، وإلزام البصر موضع السجود، لا يجاوز بصره مصلاه.

روى القاسم بن إبراهيم عليه السلام أن علي ابن أبي طالب قال لعبد الله بن جعفر: (إذا قمت إلى الصلاة فارفع بصرك موضع سجودك، ثم استفتح بالقراءة، فتجعل لسانك ترجماناً لقلبك، لا يغيب قلبك مما يقول لسانك، لا تعبأ بشيء من شأنك إلا بما أنت فيه من صلاتك، لا تذكر في تلاوتك غير ما تتلوه، ويكون همك الآية التي تتلوها، فإذا فرغت من القراءة وصرت إلى الركوع لم تذكر إلا التكبير وحسن الخضوع، وكذلك إذا اعتدلت في القيام لم تذكر إلا الركوع، وكان ذكرك السجود، فإذا فرغت من ركعةٍ حفظتها، ثم ابتدأت الأخرى تصنع فيها كما صنعت في الأولى، لا تذكر غير قراءتك وغير حفظك؛ لأن الصلاة لا بد لها أن تحصى لا يزاد فيها ولا ينقص منها حتى تؤدي إلى الله عز وجل فرضك كما أمرك بعونه وتوفيقه)

[مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي ٦٣٥/٢].

وروى ولده محمد بن القاسم عن النبي ﷺ: ((إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ عَبْدٍ لَا يَحْضُرُ فِيهَا عَقْلُهُ مَعَ بَدَنِهِ)) انتهى.

وعنه ﷺ أنه قال: ((يَا أَنَسُ؛ صَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ تَرَى أَنَّكَ لَا تُصَلِّي بَعْدَهَا أَبَداً، وَاضْرِبْ بِبَصَرِكَ مَوْضِعَ سُجُودِكَ حَتَّى لَا تَعْرِفُ مَنْ عَنْ يَمِينِكَ وَلَا مَنْ عَنْ يَسَارِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ يَرَاكَ وَلَا تَرَاهُ)) [تيسير المطالب ٣٠٢].

وفي أمالي المرشد أن رسول الله ﷺ: قال: ((صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، تَتَشَهَّدُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَضْرَعُ وَتَخْشَعُ وَتَمَسْكَنُ وَتَقْنَعُ بِيَدَيْكَ تَرْفَعُهُمَا إِلَى رَبِّكَ، تَقُولُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهِيَ خِدَاجٌ)) [الأمالي الخميسية ٢٧٩/١].

وفي ينابيع النصيحة للأمير الحسين عنه ﷺ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ لَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا سُدُسُهَا وَلَا عُشُرُهَا، وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقَلَ مِنْهَا)).

وفيها عنه ﷺ: ((رَكْعَتَانِ خَفِيفَتَانِ فِي ذِكْرٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ وَالْقَلْبُ سَاهٍ، وَإِنَّ الْقَوْمَ يَكُونُونَ فِي صَلَاتِهِمْ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)).

واللغو: الباطل والكذب وما لا يعني من قولٍ أو فعلٍ، وهو ما يوجب الشرع أو المروءة إلغاءه واطراحه كاللعب والهزل، وفعلهم للزكاة تأديتها.

وفي أمالي المرشد عنه ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ لِلْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ قَدْرَ مَا يَسَعُهُمْ، فَإِنْ مَنَعُوهُمْ حَتَّى يَجُوعُوا، وَيَعْرَوا، وَيَجْهَدُوا حَاسَبَهُمُ اللَّهُ حِسَابًا شَدِيدًا، وَعَذَّبَهُمْ عَذَابًا نُكْرًا)) [الأمالي الخميسية ٢٣٥/٢].

والذين هم لما ائتمنوا عليه ولعهدهم قائمون عليها بالحفظ وافون بها، وذلك عام لكل ما ائتمنوا عليه وعُوهِدُوا عليه، من الله تعالىٰ أو من الخلق، ويحتمل الخصوص في أمانات الناس وعهدهم، ويؤيد الأول ما في أمالي المرشد، قال ﷺ: ((يَا إِخْوَانِي، تَنَاصَحُوا فِي الْعِلْمِ وَلَا يَكْتُمَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَإِنَّ خِيَانَةَ الرَّجُلِ فِي عِلْمِهِ أَشَدُّ مِنْ خِيَانَتِهِ فِي مَالِهِ)) [الأمالي الخميسية ٦٦/١].

ومحافظتهم على صلواتهم تأديتها في أوقاتها، مجتهدين فيما يتم بها أوصافها.

وفي أمالي المؤيد بالله عنه ﷺ: ((مَنْ أَسْبَغَ وُضُوءَهُ، وَأَحْسَنَ صَلَاتَهُ، وَأَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ، وَخَزَنَ لِسَانَهُ، وَكَفَّ غَضَبَهُ، وَأَدَّى النَّصِيحَةَ لِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ، وَأَبْوَابُ الْجَنَّةِ مُفَتَّحَةٌ لَهُ)) [وهو في البساط ٢٢].

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١]

﴿مُّشْفِقُونَ﴾ أي خائفون من عذابه، و ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي يصدقون، و ﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾ أي في الإلهية والعبادة، و ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ أي ما أَعْطَوا لوجه الله من أنواع الصدقات والضيافات ونحوها، وقلوبهم خائفة أن لا يقبل الله منها الصدقات وسائر الطاعات.

ثم إنه سبحانه بين علة ذلك الوجل، وهي علمهم برجوعهم إلىٰ جزاء ربهم،

ولا يدري ما يصنع الله به لأجلها، وهل وقعت مُخَلِّصَةً له عن عهدة ما لزمه أم لا، ثم إنه سبحانه لما ذكر هذه الصفات للمؤمنين المخلصين قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي يبادرون فيستكثرون منها، لأن المسارع إلى الشيء مستكثر منه وراغب فيه، وقيل: يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام كقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ﴾ [آل عمران:١٤٨] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت] لأنهم إذا سورع لهم بها فقد سارعوا في نيلها وهذا أحسن طباقاً للآية الأولى لأن فيه إثبات ما نفي عن الكفار في قوله قبلها: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون].

وعن علي عليه السلام: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيْداً لَهَا).

وقال في صفة المتقين: (لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ، مِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ [النور:١٩]

﴿تَشِيعَ﴾ أي تنتشر وتذيع، فتدل على قبح حب ذلك، وعلى تحريم إشاعتها أولى، لذا توعد المحبين بأن لهم عذاب أليم في الدنيا وهو الحد، والآخرة وهو النار لمن لم يتب، فعلى المؤمن أن يحب المؤمن في الله وأن يرى له ما يرى لنفسه، ومن

أحب إشاعة الفاحشة فيه لم يتأت له ذلك.

وعنه ﷺ: ((لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا تَحَابُّوا، وَأَدَّوا الأَمَانَةَ، وَاجْتَنَبُوا الْحَرَامَ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، فَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ابْتُلُوا بِالقَحْطِ وَالسِّنِينَ)) [تيسير المطالب ٤٥٧ - صحيفة الرضا].

وعنه ﷺ: ((مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ سَمِعَ مُسْلِماً يُنَادِي: يَا لَلْمُسْلِمِينَ، فَلَمْ يُجِبْ فَلَيْسَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) [تيسير المطالب ٤٤٣].

وعنه ﷺ: ((مَا مِن امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَءًا مُسْلِماً فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ مُسْلِماً فِي مُوطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ)) [تيسير المطالب ٤٠٧].

قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦-٣٧]

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بيسبح الآتي أو بما قبله، أي المشكاة في بعض بيوت وهي المساجد، و ﴿تُرْفَعَ﴾ أي تعظم ويذكر فيها أسماؤه الحسنى، والتسبيح: التنزيهُ، وقد يكون التسبيح بمعنى الصلاة ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ أي البكر ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ من بعد الزوال أو العصر، و ﴿رِجَالٌ﴾ مرفوع بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾ وهم قوم من المؤمنين وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ وهي تعم البيع والشراء، وذكر البيع ثانياً قيل: لأنه

أدخل في الإلْهَاء من حيث أن الربح قد تعين فيه، ويجوز أن يراد بالتجارة الشراء فقط، و ﴿تَتَقَلَّبُ﴾ أي تضطرب فيه القلوب من الهول، وتشخص فيه الأبصار فلا تقر في مكانها من الفزع، و ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي تفَضُّلاً، فأما الثواب فله حساب؛ لأنه على حسب الاستحقاق، هكذا قيل.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فَأَسْبَغَ الطَّهُورَ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ فَهَلَكَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، ... وَرَجُلٌ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بَعْدَمَا هَدَأَتِ الْعُيُونُ فَأَسْبَغَ الطَّهُورَ ثُمَّ قَامَ إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهَلَكَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ)) [مسند الإمام زيد ٢٧١ - أمالي أحمد بن عيسى - تيسير المطالب ٤٢٦].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ أَخْرَجَ أَذًى مِنْ مَسْجِدٍ كَانَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَمَنْ أَدْخَلَ أَذًى فِي مَسْجِدٍ كَانَ ذَلِكَ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ، وَالسَّيِّئَةُ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ)) [مسند الإمام زيد ٢٧٢ - تيسير المطالب ٣٥٤ - أمالي أحمد بن عيسى].

ومن كلام لعلي عليه السلام يوصي به أصحابه: (تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر] وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ(١)، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ بِالْحَمَّةِ(٢) تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا

(١) قال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في الديباج الوضي: أَرَادَ وَتُزِيلُهَا عَنِ الْكُتُبِ والدَّواوِينِ الَّتِي دُوِّنَتْ فِيهِا كَإِطْلَاقِ أَوْلَادِ الْمَعْزِ عَنِ الرِّبَقِ الَّتِي وُضِعَتْ رُؤُوسُهَا فِيه، وَالرِّبْقَةُ: حَبْلٌ تُجْعَلُ فِيهِ حِلَقٌ تُدْخَلُ فِيهِ رُؤُوسُ أَوْلَادِ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ، انتهى.

(٢) الْحَمَّةُ هي: الْعَيْنُ الْحَارَّةُ، انتهى من الديباج الوضي.

فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ؟ وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾).

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَصِباً بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣٢] فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَيُصَبِّرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ، ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً وَوِقَايَةً، فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ، وَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الْأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ..

[فضل (لاإله إلاالله) وفي الذكر أيضا]

وفي أمالي المرشد عنه ﷺ: ((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، فَمَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ مِنْ عَذَابِي)) [الأمالي الخميسية ١٥/١ - صحيفة الرضا].

وفيها عنه ﷺ: ((أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ)) [الأمالي الخميسية ١٦/١].

وفيها عنه ﷺ: ((مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)) [الأمالي الخميسية ١٧/١].

وفيها قال ﷺ: ((مَنْ هَلَّلَ مِائَةً وَكَبَّرَ مِائَةً كَانَتْ خَيْرًا لَهُ مِنْ عَشْرِ رِقَابٍ يَعْتِقُهَا وَمِنْ سَبْعِ بَدَنَاتٍ يَنْحَرُهَا عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ)) [الأمالي الخميسية ٢١/١].

وفيها عنه ﷺ قال: ((قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ

بِهِ وَأَدْعُوكَ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى؛ لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعِجَارَهُنَّ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) [الأمالي الخميسية ٣٢/١].

وفيها عنه ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، فَابْلُ مِنْ نَفْسِكَ الْجَهْدَ، فَإِنْ غُلِبْتَ فَقُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ أَوْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))[الأمالي الخميسية ٤٥/١].

وفيها قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ سُنَنَ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعَهُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَنْبِئْنِي بِأَمْرٍ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: ((لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) [الأمالي الخميسية ٣٣٨/١].

وفيها عنه ﷺ: ((مَنْ عَجَزَ مِنْكُمْ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، وَعَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى)) [الأمالي الخميسية ٣٣٨/١].

وفيها عنه ﷺ: ((قَالَ اللَّهُ: إِذَا اشْتَغَلَ عَبْدِي بِذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ)) [الأمالي الخميسية ٣٣٩/١].

قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ ... إلى قوله ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ

أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ [الفرقان]

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي عباده حقّاً، ووصفهم بتسعة أنواع من الصفات:

الأولى: يمشون الهون أي بالسكينة والوقار والتواضع.

الثانية: إذا خاطبهم السفهاء بما يكرهون قالوا قولاً حسناً جميلاً.

الثالثة: يبيتون يصلون بالليل.

الرابعة: إنهم مع هذه الصفات خائفون مبتهلون إلى ربهم في صرف العذاب عنهم، والغرام العذاب الشديد أو اللازم أو الثقيل.

الخامسة: إنهم متوسطون في الإنفاقِ، لا إِسْرَافَ، وهو الإنفاق في غير حق أو لغير حاجة، ولا إقتارَ، وهو التضييق فيه، و ﴿قَوَامًا﴾ وسطاً.

السادسة: لا يشركون ولا يقتلون النفس المحرمة ولا يزنون ومن يفعل بعض الثلاث ﴿يَلْقَ أَثَاماً﴾ أي عقوبة، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

السابعة: ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي لا يحضرون مجالس الكذب والباطل، ولا يشهدون شهادة الزور أي لا ينطقون به، ﴿وَإِذَا مَرُّواْ﴾ بأهل اللغو - وهو القبيح من الكلام- ﴿مَرُّواْ﴾ معرِضين مُكَرِّمين لأنفسهم عن الوقوف معهم.

الثامنة: إذا وعظوا بالقرآن سمعوا الوعظ، فلم يَصَمُّوا عنه وأبصروا الرشد فلم يَعْمَوْا عنه، والخُرُورُ: السقوط، أي لم يكبوا إلا للحرص على الاستماع.

التاسعة: سألوا أن يُرْزُقَهُمْ أزواجاً وأولاداً تَقر بهم عيونهم من القُرِّ وهو البرد كناية عن الفرح بهم في الدنيا بالطاعة لله والصلاح، وفي الآخرة بالجنة، و ﴿إِمَامًا﴾

أي قدوة يهتدى بهم في الخير.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المتصفون بما سبق يكافؤون على صبرهم بـ (الْغُرْفَةِ) وهي أعلا مساكن الجنة، فاسْتَمْسِكْ بهذه الصفات تَكُنْ من عباد الله الصالحين، وتَفُزْ بما وعد به عباده المتقين.

[كلام أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين]

قال أمير المؤمنين عليه صلاة رب العالمين حين سئل عن وصف المتقين؛ فقال عليه السلام: (فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، بَذَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي بَذَلَتْ فِي الرَّخَاءِ، لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ.

عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مَرْبِحَةٌ، يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا وَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا

تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ[1]، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللهِ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ.

وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ: قَدْ خُولِطُوا! وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ!

لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ. إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي! اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِينٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ، وَقَصْداً فِي غِنىً، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ، وَطَلَباً فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدىً، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ.

يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ، يَبِيتُ حَذِراً، وَيُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لَمَّا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ.

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ.

---

(١) قال في الديباج الوضي: يشير إلى حالة الركوع.

تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ. الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ.

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ.

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ.

بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ.

فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ.

لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ.

لَا يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ.

نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ.

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

انتهى كلام باب مدينة العلم، المبين للأمة ما أتى به نبيئها عن ربه، وصلى الله على محمد وآله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴿٧٦﴾﴾ [القصص] أي الذين أبطرتهم النعم،

وهذا الفرح المذموم لا الفرح الذي لا يبطر ولا يخرج عن الشكر، فهو ذو الاعتراف بنعمة الله ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى] بل القبيح ما أدى إلى الاستطالة والعجب.

[في العجب والتكبر]

قال ﷺ: ((ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: هَوًى مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ)) [تيسير المطالب ٤٣٠ - الاعتبار ٣٠٠ - الأمالي الخميسية٢/ ٣٠٢].

وقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ وَازْدَرَى النَّاسَ)) رواهما في أمالي المرشد [الأمالي الخميسية ٢/٣٠٠].

وذلك فعل قارون حين خرج على قومه في زينته.

قال علي عليه السلام: (مَنْ نَالَ اسْتَطَالَ)، وقال: (الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، والشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى).

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص]

﴿ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ أراد الجنة و ﴿تِلْكَ﴾ تعظيم وتفخيم لشأنها، وعموم الآية يقضي بدخول من أراد أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيعلو عليه بذلك، وكذلك البغي، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قد مضى لك وصف المتقين في آل عمران ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران:١٣٤] .. الخ، ووصف أمير المؤمنين لهم عند آية الفرقان.

قال الفضيل: (ذَهَبَتِ الْأَمَانِيُّ هَاهُنَا) فعند هذه الآية لا ينبغي إلا ترك إرادة كُلِّ

ما كان للدنيا واحتقاره، فلا ينافس في عزها ورئاستها، وتُنَزَّلُ حيث نزلها خالقها.

وعنه ﷺ: ((الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) رواه في أمالي المرشد [الأمالي الخميسية ٢٢٣/٢].

وفيها قال ﷺ: ((إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ)) [الأمالي الخميسية ٢٢٦/٢ - ومثله في الاعتبار ٧٠].

وفيها عنه ﷺ: ((لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا جُرْعَةً)) [الأمالي الخميسية ٢٢٩/٢].

وفيها قال ﷺ: ((بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى. بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَكَبَّرَ وَزَهَا، وَنَسِيَ الْمُبْتَدَأَ وَالْمُنْتَهَى، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ بَخِلَ وَاخْتَالَ، وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِي، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ بَاعَ الدِّينَ بِالدُّنْيَا، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ خَلَطَ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ، بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَرُدُّهُ الرَّغَبُ عَنِ الْحَقِّ)) [الأمالي الخميسية ٢٣٩/٢].

قوله: ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ أي ظُلْماً وجَوْراً، فتعلق الوعيد بإرادتهما، فكيف بفعلهما مع الإرادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤].

فالإقبال على الباطل للذة يسيرة زائلةٍ لَعِبٌ، والإعراض عن الحق لَهْوٌ، والآخرة ليس فيها إلا حياة مستمرة، ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ صحة ما قلنا لآثروا الآخرة على الدنيا.

قال علي عليه السلام: (مَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُوَ، وَلَا تُرِكَ سُدىً فَيَلْغُوَ! وَمَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ، وَمَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَالْآخَرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهْمَتِهِ)(١).

وقال عليه السلام: (يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا؛ فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ)(٢).

قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان].

قال عليه السلام: (الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ).

وفي أمالي المرشد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ، فَمَنْ شَاءَ أَقَلَّ وَمَنْ شَاءَ اسْتَكْثَرَ)) [الأمالي الخميسية ٢٦٨/١].

وفيها: قال علي عليه السلام: (الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرِيضَةٌ، إِذَا أُقِيمَتْ اسْتَقَامَتِ السُّنَنُ) [الأمالي الخميسية ٣١٨/٢].

وفيها: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَيَخْرُجُنَّ مِنْ أُمَّتِي نَاسٌ مِنْ قُبُورِهِمْ فِي صُورَةِ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، بِمَا دَاهَنُوا أَهْلَ الْمَعَاصِي، وَكَفُّوا عَنْ نَهْيِهِمْ، وَهُمْ يَسْتَطِيعُونَ)) [الأمالي الخميسية ٣١٩/٢].

---

(١) أي نصيبه، تمت، هامش الأصل.

(٢) الصَّرِيفُ: صَوْتُ نَابِ الْبَعِيرِ. والحِدْثَانُ: هِيَ الْأَحْدَاثُ أوْ هي نُوَبُ الدَّهْرِ وَحَوَادِثُهُ. تمت. (انظر النهاية في غريب الحديث والأثر:٢٥/٣).

قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ أي بسبب الأمر والنهي، إنَّ ذلك المذكور من عزم الأمور، أي مقطوعاتها وواجباتها، ﴿وَلَا تُصَاعِرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي لا تُـمِلْ وجهك عنهم تكبراً، بل أقبل على الناس بوجهك، والصَّعَرُ داءٌ يصيب البعير، يلوي منه عنقه، وقوله ﴿مَرَحًاۖ﴾ أي خيلاء، والمختال المتكبر، والفخور المتطاول على الناس بنفسه، المفتخر عليهم بما معه من مناقبه.

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ كن وسطاً وامش بالوقار والسكينة.

وفي أمالي المرشد بالله قال ﷺ: ((لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ)) قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي غَسِيلًا، وَرَأْسِي دَهِينًا، وَشِرَاكُ نَعْلِي جَدِيدًا، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ، حَتَّى ذَكَرَ عَلَّاقَةَ السَّوْطِ، أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَلِكَ؟ قَالَ: ((لَا، ذَلِكَ الْجَمَالُ، إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ وَازْدَرَى النَّاسَ)) [الأمالي الخميسية ٣٠٠/٢].

وفيها قال رسول الله ﷺ: ((رَأْسُ التَّوَاضُعِ ثَلَاثَةٌ: الِابْتِدَاءُ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، وَالرِّضَى بِالْمَجْلِسِ عَنْ شَرَفِ الْمَجْلِسِ، وَمَحَبَّةُ الْعَبْدِ الْمَسَاجِدَ، وَتَرْكُ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ)) [الأمالي الخميسية ٣٠١/٢].

وقال علي عليه السلام: (فَاعْتَبِروا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَقَدْ كَانَ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِيِّ الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِيِّ الْآخِرَةِ، عَلَى كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

فَمَنْ بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلَّا؛ مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ

لَوَاحِدٌ).

قوله: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ أي أخفض منه، ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ﴾ أي أقبحها ﴿لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ ولا ذمَّ للحمير إنما هو لذوي الألباب أن يتشبهوا بالحمير التي لا عقول لها فأول صوتها زفير وآخره شهيق) وقال زيد بن علي عليه السلام أراد الجهال من الناس.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة:١٧]

أي إنما يُصَدِّق بالقرآن الذين إذا وُعِظوا به سجدوا لله خاضعين طائعين ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ نزهوه وأثنوا عليه غير مستكبرين عن الإيمان والطاعة، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ﴾ أي ترتفع وتتنحى عن الفرش، يقومون ويقعدون، يدعون ربهم خوفاً من العذاب وطمعاً في الرحمة ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦﴾ في وجوه البر، ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم﴾ ليوم القيامة مما تقر به عيونهم من الثواب، ولا مزيد على هذه العِدَةِ ولا مطمع وراءها.

[في قيام الليل]

قال في البرهان: روينا عن آبائنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)).

ثم قال تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ من فعل الطاعات.

وفي أمالي المرشد عن معاذ، قلت: يَا رَسُولَ اللهِ؛ حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ يَدْخُلُ بِهِ الْعَبْدُ الْجَنَّةَ إِذَا عَمِلَ، قَالَ: ((بَخٍ بَخٍ، سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ يَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: يُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَيُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَلَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَسَأُنَبِّئُكَ بِأَبْوَابٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَقِيَامُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يَبْتَغِي مَرْضَاةَ اللَّهِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [الأمالي الخميسية ٢٧١/١ ، ٤٤/٢].

وفيها: قال ﷺ: ((أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ قُوَّامُ اللَّيْلِ)) [الأمالي الخميسية ٢٧٣/١].

وفيها: قال رسول الله ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَغْفِرَةٌ وَمَكْفَرَةٌ لِسَّيِّئاتِ اللِّسَانِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ)) [الأمالي الخميسية ٢٦٨/١].

وعنه ﷺ: ((مَنْ صَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ فِي اللَّيْلِ سِوَى الْوِتْرِ، يُدَاوِمُ عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ بِهِنَّ؛ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ اثْنَيْ عَشَرَ بَاباً مِنَ الْجَنَّةِ)) [الأحكام ١٢٢/١ - تيسير المطالب ٣٠٧ - أصول الأحكام ١٧٨/١ - أمالي أحمد بن عيسى].

وعنه ﷺ: ((رَكْعَتَانِ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)) [مسند الإمام زيد ١٠١ - الأحكام ١٢٣/١ - أمالي أحمد بن عيسى].

وقال ﷺ: ((صَلَاةُ السِّرِّ تَضْعُفُ عَلَى صَلَاةِ العَلَانِيَّةِ سَبْعِيْنَ ضِعْفاً)) [الأحكام ٤٠٣/٢ - أمالي أحمد بن عيسى - كتاب الذكر].

وعن علي عليه السلام: (صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَصَلَاتُ النَّهَارِ إِنْ شِئْتَ أَرْبَعاً وَإِنْ

شِئْتَ مَثْنَى) [مسند الإمام زيد ١٠٣].

وعن علي عليه السلام: (عَزَائِمُ سُجُودِ الْقُرْآنِ أَرْبَعٌ: الـم تَنْزِيل السَّجْدَة، وحم السَّجْدَة، والنَّجْمُ، وَاقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [مسند الإمام زيد ١١١].

وفي أمالي المرشد عن عائشة: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، مِنْهَا رَكْعَتَانِ كَانَ يُصَلِّيهِمَا وَهُوَ جَالِسٌ، وَيُصَلِّي إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَذَلِكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، [الأمالي الخميسية ٢٧٠/١].

وفيها عن عبد الله يرفعه، قال: ((ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: رَجُلٌ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ يُخْفِيهَا عَنْ شِمَالِهِ، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ فَاسْتَقْبَلَ الْعَدُوَّ)) [الأمالي الخميسية ٢٨٤/١].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب:٤٢]

[في الذكر أيضاً]

ذِكْرُ الله بالقلب واللسان، والتسبيح وإن كان من جملة الذكر إلا أنه قيل إنما اختصه من بين أنواعه لتبيين فضله على سائر الأذكار؛ لأن معناه تنزيه الله عما لا يجوز عليه، والبُكْرة أول النهار، والأصيل آخره.

قال علي عليه السلام: (أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ).

وفي أمالي المرشد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((سُبْحَانَ اللَّهِ نِصْفُ الْمِيزَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءُ الْمِيزَانِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ دُونَهَا سِتْرٌ وَلَا حِجَابٌ حَتَّى تَخْلُصَ إِلَى رَبِّهَا)) [الأمالي الخميسية ٣٠٩/١].

وفيها عنه ﷺ: ((مَنْ تَعَارَّ[1] مِنَ اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِهِ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ)) [الأمالي الخميسية ٣١٣/١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦]

[في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم]

قيل الصلاة من الله الرحمة والكرامة، ومن الملائكة الاستغفار والدعاء.

وعنه ﷺ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَمَحَى عَنهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَأَثْبَتَ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَاسْتَبَقَ مَلَكَاهُ الْمُوَكَّلَانِ بِهِ أَيُّهُمَا يُبَلِّغُ رُوحِي مِنْهُ السَّلَامَ)) [مسند الإمام زيد ١١٤ - كتاب الذكر - تيسير المطالب ٤٨١ - أمالي أحمد بن عيسى].

وعنه ﷺ: ((لَقِيَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَشَّرَنِي، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ)) [تيسير المطالب ٤٨١].

وقال ﷺ: ((أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ تُضَاعَفُ فِيهِ الْأَعْمَالُ)) [مسند الإمام زيد ١١٤ - كتاب الذكر - تيسير المطالب ٤٨١ - أمالي أحمد بن عيسى].

وقال ﷺ: ((مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ)) [تيسير المطالب ٤٨٣- كتاب الذكر].

والأخبار في الصلاة على الآل معه كثيرة.

---

(١) التعار: السهر والتقلب على الفراش ليلا. تمت.

وقال ﷺ: ((ارْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِي فَإِنَّهَا تُذْهِبُ بِالنِّفَاقِ)) [تيسير المطالب ٤٨٤].

وفي أمالي المرشد: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ...﴾ [الأحزاب: ٥٦] جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَرَفْنَا السَّلَامَ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ فَأَخَذَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)) فَذَكَرَ الْخَمْسَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: ((خُذْهَا يَا عَلِيُّ خَمْسًا فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)) [الأمالي الخميسية ١٦١/١].

وفيها: قال ﷺ: ((إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَصَلُّوا عَلَيَّ وَعَلَى أَهْلِي وَعَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ كَانُوا قَبْلِي، فَإِنَّهُمْ قَدْ بُعِثُوا كَمَا بُعِثْتُ)) [الأمالي الخميسية ١٦٣/١].

وفيها: قال ﷺ: ((إِنَّ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَى النَّبِيِّ مَغْفِرَتُهُ)) [الأمالي الخميسية ١٦٤/١].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب:٥٨]

﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ أي بغير جناية ولا استحقاق، و ﴿بُهْتَٰنًا﴾ أي عقاب بهتانٍ بُهِتَ بِهِ مَنْ لم يفعله.

وعنه ﷺ: ((مَنِ اسْتَذَلَّ مُؤْمِناً أَوْ حَقَّرَهُ لِفَقْرِهِ وَقِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ شَهَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَفْضَحُهُ)) [تيسير المطالب ٥٤٨ - صحيفة الرضا].

وقال ﷺ: ((مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الْاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ مُسْلِمٍ)) [تيسير المطالب ٥٥٠].

وقال ﷺ: ((مَنْ بَهَتَ مُؤْمِناً أَوْ مُؤْمِنَةً، أَوْ قَالَ مَا لَيْسَ فِيهِ أَقَامَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى تَلٍّ مِنَ النَّارِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ)) [تيسير المطالب ٥٥١ - صحيفة الرضا].

وقال ﷺ: ((لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنُ فَوْقَ ثَلَاثٍ)) زاد في بعض الروايات: ((يَلْتَقِيَانِ فَيَعْرِضُ هَذَا، وَيَعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ)) [الأحكام ٤١٣/٢ - تيسير المطالب ٥٥٠].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]

﴿يَتْلُونَ﴾ أي يقرأون، وقيل يداومون على تلاوته، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها كاملة، ﴿وَأَنفَقُواْ﴾ أي زكاةً وغيرها، ﴿لَّن تَبُورَ﴾ أي تهلك، والبائر من العمل هو الهالك الذاهب الباطل، أي لن تكسد وتذهب، و ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم، والزيادة إما المضاعفة أو نحوها، ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ للذنب ﴿شَكُورٌ﴾ لأعمالهم.

[في فضل تلاوة القرآن]

وعنه ﷺ: ((اتْلُوهُ فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: أَلِفٌ وَلَامٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ عَشْراً وَلَامٌ عَشْرًا)) [تيسير المطالب ٢٤٦ - [الأمالي الخميسية ١٥٥/١].

وعن علي عليه السلام قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالصَّلَاةِ الْكَثِيرَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ حَامِلُ الْقُرْآنِ، وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْخُشُوعِ الْكَثِيرِ فِي السِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ حَامِلُ الْقُرْآنِ، وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالصَّوْمِ الكَثِيرِ حَامِلُ الْقُرْآنِ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ القُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ فِي لَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ نِيَامٌ، وَفِي نَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ يَتَبَطَّلُونَ، وَفِي بُكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَفِي حُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَفِي

صَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلُطُونَ[1].... إلى أن قال: يَدْفَعُ اللهُ عَنْ مُسْتَمِعِ الْقُرْآنِ بَلْوَى الدُّنْيَا، وَيَدْفَعُ عَنْ تَالِي الْقُرْآنِ بَلْوَى الْآخِرَةِ)) [تيسير المطالب ٢٤٤ - حقائق المعرفة ٨٦].

وقال ﷺ: ((قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ أَفْضَلُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ صَلَاةٍ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ صَلَاةٍ أَفْضَلُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ، وَذِكْرُ اللهِ تَعَالَى أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصَّدَقَةُ أَفْضَلُ مِنَ الصِّيَامِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ)) [تيسير المطالب ٢٤٢ - الأمالي الخميسية ٤٦/١ - أمالي أحمد بن عيسى - البساط].

وقال ﷺ: ((مَا مِنِ امْرِئٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمَ)) [تيسير المطالب ٢٤٦].

وعنه ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ يَفْقَهْهُ)) [تيسير المطالب ٢٥٢].

وكان ﷺ لَا يَبِيتُ لَيْلَةً حَتَّى يَقْرَأَ: أَلم السَّجْدَةَ، وَتَبَارَكَ، [تيسير المطالب ٢٤٧].

وفي أمالي المرشد عنه ﷺ: ((أَعْبَدُ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ تِلَاوَةً لِلْقُرْآنِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ)) [الأمالي الخميسية ٢٩٥/١].

وفيها عنه ﷺ: ((فَضْلُ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ)) [الأمالي الخميسية ٩٧/١].

---

(١) في الأمالي: يخلطون، وكمال الحديث: يَا حَامِلَ الْقُرْآنِ تَوَاضَعْ لِلَّهِ يَرْفَعُكَ الله وَلَا تَتَعَزَّزْ فَيُذِلَّكَ اللهُ، وَتَزَيَّنْ لِلَّهِ يُزَيِّنْكَ الله وَلَا تَتَزَيَّنْ لِلنَّاسِ فَيَمْقُتُكَ اللهُ، الله أَفْضَلُ لَكَ مِنْ كُلِّ شَيءٍ هُوَ دُونِ اللهِ، وَمَنْ وَقَّرَ الْقُرْآنَ فَقَدْ وَقَّرَ اللهَ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِحَقِّ الْقُرْآنِ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللهِ، وَحُرْمَةُ الْقُرْآنِ عِنْدَ الله كَحُرْمَةِ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ.

وَحَمَلَةُ الْقُرْآنِ يُدْعَوْنَ فِي التَّوْرَاةِ الْمَخْصُوصِينَ بِرَحْمَةِ اللهِ، الْمُلَبَّسِينَ نُورَ الله الْمُعَلِّمِينَ كِتَابَ اللهِ، مَنْ وَالاهُمْ فَقَدْ وَالَى الله، وَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ عَادَ اللهَ، يَدْفَعُ الله عَنْ مُسْتَمِعِ الْقُرْآنِ بَلْوَى الدُّنْيَا، وَيَدْفَعُ الله عَنْ تَالِي الْقُرْآنِ بَلْوى الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ.

وفيها عنه ﷺ: ((مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَتْ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ، وَمَنْ تَلَا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) [الأمالي الخميسية ١٠٢/١].

وفيها رواية أجر من قرأ كل سورة.

وفيها قال رسول الله ﷺ: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثُلُثُ الْقُرْآنِ)) [الأمالي الخميسية ١٤٢/١].

وعنه ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ فِي لَيْلِهِ كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ)) [الأمالي الخميسية ١١٣/١].

وفيها عنه ﷺ: ((يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْقَ فِي الدَّرَجَاتِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ آخِرُ آيَةٍ تَقْرَأُهَا)) [تيسير المطالب ٢٤٨ - الأمالي الخميسية ١٠٤/١].

وفيها عنه ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ يس كُتِبَ لَهُ بِقِرَاءَتِهِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ)) [الأمالي الخميسية ١٥٤/١].

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩]

المعنى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته، ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ في الصلاة، ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يخاف عذابها، ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ أي جنة ربه، كمن هو عاص لا يستويان، كما لا يستوي العالم العامل والجاهل،

وإنما يتعظ أصحاب العقول، ويعرف التفاوت بينهما، إذ لا يعرف التفاوت العظيم بين العالم والجاهل إلا أولوا الألباب.

[في العلم وفضله]

وعن علي عليه السلام، قال: (عالمٌ أفضل من ألف عابدٍ، العالم يستنقذ عباد الله من الضلالة إلى الهدى، والعابد يوشك أن يقدح الشك في قلبه فإذا هو في وادي الهلكات).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهَا عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى حِيتَانُ الْبَحْرِ وهَوَامُّ الْبَرِّ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ)) [مسند الإمام زيد ٢٥٦].

وقال علي عليه السلام: (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ حَسَنَةٌ، وَمُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ، وَالْحَثَّ عَلَيْهِ[1] جِهَادٌ، وَإِفَادَتَهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ، وَهُوَ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَسَالِكُهُ سَبِيلُ الْجَنَّةِ...) [تيسير المطالب ٢٠٦].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((النَّظَرُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ عِبَادَةٌ، وَالنَّظَرُ فِي كِتَابِ اللهِ عِبَادَةٌ، وَالنَّظَرُ فِي وَجْهِ العَالِمِ الطَّالِبِ بِعِلْمِهِ وَجْهَ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ عِبَادَةٌ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ اعْتِكَافٌ)) [تيسير المطالب ٢١٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَضْلٌ؛ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَفَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، وَسُنَّةٌ قَائِمَةٌ)) [تيسير المطالب ٢١٤ - الأمالي الخميسية ٧٢/١].

---

(١) في نسخة: وَالْبَحْثَ عَنْهُ، تمت، هامش الأصل.

وعنه ﷺ: ((أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْفِقْهُ، وَأَفْضَلُ الدِّينِ الْوَرَعُ)) [تيسير المطالب ٢١٦].

وقال ﷺ: ((فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ)).

[تيسير المطالب ٢١١ - الأمالي الخميسية ٧٩/١].

وفي أمالي المرشد عنه ﷺ: ((يَسِيرُ الْفِقْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمْ أَيْسَرُهَا)) [الأمالي الخميسية ٦١/١].

وفيها قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ جَاءَتْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُحْيِيَ بِهِ الْإِسْلَامَ فَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ)) [الأمالي الخميسية ٦٩/١].

وفيها قال ﷺ: ((لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْعُلَمَاءِ فَضْلُ دَرَجَتَيْنِ، وَلِلْعُلَمَاءِ عَلَى الشُّهَدَاءِ فَضْلُ دَرَجَةٍ)) [الأمالي الخميسية ٦٩/١].

وفيها جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قَالَ: ((مَنْ يَجْمَعُ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ)) [الأمالي الخميسية ٧١/١].

وفيها قال ﷺ: ((فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أُمَّتِي)) [الأمالي الخميسية ٧١/١].

وفيها قال ﷺ: ((مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا فِيمَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ تِسْعِينَ دَرَجَةً، اللَّهُ أَعْلَمُ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ)) [الأمالي الخميسية ٧٣/١].

وفيها عنه ﷺ: ((اللَّهُ أَجْوَدُ الْأَجْوَادِ، وَأَنَا أَجْوَدُ بَنِي آدَمَ، وَأَجْوَدُهُمْ مِنْ بَعْدِي رَجُلٌ عَلِمَ عِلْمًا فَنَشَرَهُ، يُبْعَثُ[1] يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ)) [الأمالي الخميسية

(١) في نسخة: يَبْعَثُهُ اللَّهُ، تمت، هامش الأصل.

٧٥/١ - الاعتبار ١٦١].

وفيها عنه ﷺ: ((مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ تَكَفَّلَ اللَّهُ بِرِزْقِهِ)) [الأمالي الخميسية ٨٠/١].

وفيها قال ﷺ: ((تَعَلَّمُوا مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعَلَّمُوا فَلَنْ يَأْجُرَكُمُ اللَّهُ حَتَّى تَعْمَلُوا)) [الأمالي الخميسية ٨٣/١ - الاعتبار ١٤٧].

وفيها عنه ﷺ: ((عِلْمٌ لَا يُقَالُ بِهِ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) [الأمالي الخميسية ٨٧/١].

وفيها قال علي عليه السلام: (حَقُّ الْعَالِمِ عَلَيْكَ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ وَتَخُصَّهُ بِالتَّحِيَّةِ دُونَهُمْ، وَأَنْ تَجْلِسَ أَمَامَهُ، وَلَا تُشِيرَنَّ عِنْدَهُ بِيَدِكَ، وَلَا تَغْمِزَنَّ بِعَيْنِكَ، وَلَا تَقُولَنَّ لَهُ قَالَ فُلَانٌ خِلَافًا لِقَوْلِهِ، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا تَأْخُذْ بِثَوْبِهِ، وَلَا تُلِحَّ عَلَيْهِ إِذَا كَسِلَ(١)، وَلَا تُعْرِضْ مِنْ طُولِ صُحْبَتِهِ، إِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ شَيْءٌ [مِنْهَا]، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْعَالِمَ لَأَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) [الأمالي الخميسية ٩١/١].

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢٢ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢-٢٣]

المعنى: ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، و ﴿مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي عن ذكر الله، ممتنعة عن قبول حق الله، وكلما تُلي ازدادَ المبطلون قساوة، و ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ أي في ذهابٍ عن الحق، و ﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ القرآن، يشبه بعضه بعضاً، مردد ومكرر، قصصه

(١) في نخسة: كَلَّ، تمت.

وأحكامه ووعده ووعيده، ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي تنقبض وتحرك عند سماع تلاوته ووعيده، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ﴾ يذهب تقبضها واقشعرارها، ﴿وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي تسكن وتطمئن بعد ذلك، وعند ذكر وعده ورحمته وجوده.

وعن علي عليه السلام: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَحَفِظَهُ فَظَنَّ أَنَّ أَحَداً أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَقَدْ عَظَّمَ مَا حَقَّرَ اللهُ، وَحَقَّرَ مَا عَظَّمَ اللهُ).

وعن علي عليه السلام: (إنَّ صَاحِبَ القرآن لَيُسْأَلُ عما يسأل عنه الأنبياء صلى عليهم وسلم، إلا أنه لا يسأل عن الرسالة).

وقد مر صفة أصحاب علي عليه السلام حيث مروا بآية وعيد، وصفتهم عند آية الوعد.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٣-٣٥]

المعنى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ أي لا أحد أحسن ﴿قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي إلى دينه وطاعته ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فيما بينه وبين الله، ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي جعل دين الإسلام مذهبه، وهذه عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، وَالزَّكَاةِ الْوَاجِبَةِ، وَحَجَّةِ الْإِسْلَامِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالدُّعَاءُ إِلَى دِينِ

اللهِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، عَدْلُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ الدُّعَاءُ إِلَى اللهِ فِي سُلْطَانِ الْكُفْرِ، وَعَدْلُ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَاللهِ لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)) [مسند الإمام زيد ٢٣٨ - تيسير المطالب ٣٩٥ - الأمالي الخميسية ٧٩/١].

قوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ﴾ في جزئياتها؛ لأن بعضها فوق بعض، فالحسنة تتفاوت إلى أحسن وكذلك السيئة، ﴿ٱدْفَعْ﴾ السيئة ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فالإساءة بالعفو الذي هو حسنة، والتي هي أحسن أن يُحْسَنَ إليه، والذم بالأحسن وهو المدح، فإذا فعلت ذلك انقلب عدوك مثل الولي، وما يُلَقَّى هذه الخصلة التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلى المسيء فما يعطاها إلا الذين صبروا على الغيظ وكظموه، وعلى مخالفة الهوى، ثم عظَّم هذه الخليقة بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

ولنتبرك هنا بذكر هذا الخبر الجامع من أمالي المرشد بالله:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَوْصِنِي، قَالَ: ((أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا رَأْسُ أَمْرِكَ)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ زِدْنِي، قَالَ: ((عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ نُورٌ فِي السَّمَوَاتِ وَنُورٌ فِي الْأَرْضِ)) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي، قَالَ: ((لَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيُذْهِبُ بِنُورِ الْوَجْهِ)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي، قَالَ: ((عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي، قَالَ: ((عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ لِلشَّيْطَانِ عَنْكَ، وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي، قَالَ: ((انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرِيَ

نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي، قَالَ: ((صِلْ قَرَابَتَكَ وَإِنْ قَطَعُوكَ)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي، قَالَ: ((لَا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي، قَالَ: ((تُحِبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ)) ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ)) انتهى [الأمالي الخميسية ٩٧/١].

فاقتدِ – رحمك الله – بأخلاق القرآن؛ تفز مع أولي العزم بغرف الجنان.

قال تعالى لنبيه: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر]، وقال: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف] وقال: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران] ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى] وكم من نحو هذا في السنة النبوية، والكلمات العلوية، وأقوال الحكماء المرضية، قال أبو العتاهية:

وَلَمْ أَرَ فِي الْأَعْدَاءِ حِينَ اخْتَبَرْتُهُمْ ... عَدُوّاً لِعَقْلِ الْمَرْءِ أَعْدَى مِنَ الْغَضَبْ

غيره:

إِذَا مَا طَاشَ حِلْمُكَ عَنْ عَدُوٍّ ... وَهَانَ عليْكَ هُجْرانُ الصَّدِيقِ
فَلَسْتَ إِذاً أَخَا عَفْوٍ وَصَفْحٍ ... وَلَا لِأَخٍ عَلَى عَهْدٍ وَثِيقِ
إِذَا زَالَ الرَّفِيقُ وَأَنْتَ مِمَّنْ ... بِلَا رِفْقٍ بَقِيتَ بِلَى رَفِيقِ
إِذَا أَنْتَ اتَّخَذْتَ أَخاً جَدِيداً ... لِمَا أَنْكَرْتَ مِنْ خُلُقٍ عَتِيقِ
فَمَا تَدْرِي لَعَلَّكَ مُسْتَجِيرٌ ... مِنَ الرَّمْضَاءِ فَرَّ إِلَى الْحَرِيقِ
فَكَمْ مِنْ سَالِكٍ لِطَرِيقِ أَمْنٍ ... أَتَاهُ مَا يُحَاذِرُ فِي الطَّرِيقِ

غيره:

سأُلْزِمُ نفسي الصفحَ عن كل مُذْنبٍ ... وإن عَظُمتْ مِنْهُ عَلَيَّ الجَرَائِمُ
فما الناسُ إلَّا واحدٌ مِنْ ثلَاثةٍ ... شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلٌ مُقَاوِمُ
فأمَّا الذي فَوْقِي فَأَعْرِفُ قَدْرَهُ ... وَأَتْبَعُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَازِمُ
وأمَّا الذي دُوني فَإِنْ قَالَ صُنْتُ عَنْ ... إِجَابَتِهِ نَفْسِي وَإِنْ لَامَ لَائِمُ
وأمَّا الذي مِثْلٌ فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا ... تَفَضَّلْتُ إنَّ الحُرَّ بِالْفَضْلِ حَاكِمُ

غيره:

لنْ يَبلُغَ المجدَ أقوامٌ وإنْ شَرُفُوا ... حتَّى يَذُلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامِ
وَيُشْتَموا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُسْفِرَةً ... لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَلكِنْ صَفْحَ إِكْرَامِ

قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٣٦-٤٣]

﴿مِّن شَىْءٍ﴾ رزق وغيره من أثاث الدنيا، وسمَّاه متاعاً تنبيهاً على قلته وحقارته

كمتاع الراكب الذي يتعجله لسير مع السفر، كشربه سويق أو تميرات، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب في الآخرة خيرٌ مما عندكم وأبقى؛ لأنه لا انقطاع له، إذْ ذلك كما قال رسول الله ﷺ: «الْجَنَّةُ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، حَصْبَاؤُهَا اليَاقُوتُ وَالزُّمُرُّدُ، وَمِلَاطُهَا المِسْكُ الأَذْفَرُ، تُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، أَنْهَارُهَا جَارِيةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَدَلِّيةٌ، وَأَطْيَارُهَا مُرِنَّةٌ، لَيْسَ فِيهَا شَمْسٌ وَلَا زَمْهَرِيرٌ، لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَهلِهَا أَلفُ حَوْرَاءَ يَمْكُثُ مَعَ الْحَوْرَاءِ مِنْ حُورِهَا أَلْفَ عَامٍ لَا تَمَلُّهُ وَلَا يَمَلُّهَا، وَإِنَّ أَدْنَى أَهلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يُغْدَى عَلَيْهِ وَيُرَاحُ بِعَشَرَةِ آلَافِ صَحْفَةٍ؛ فِي كُلِّ صَحْفَةٍ لَوْنٌ مِنَ الطَّعَامِ، لَهُ رَائِحَةٌ وَطَعْمٌ لَيْسَ لِلْآخَرِ، [وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ يَمُرُّ بِهِ الطَّائِرُ فَيَشْتَهِيهِ فَيَخِرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ إِمَّا طَبِيخاً وَإِمَّا مَشْوِيّاً مَا خَطَرَ بِبَالِهِ مِنَ الشَّهْوَةِ][1] وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ لَيَكُونُ فِي جَنَّةٍ مِنْ جِنَانِهِ بَيْنَ أَنْوَاعِ الشَّجَرِ إِذْ يَشْتَهِي ثَمَرَةً مِنْ تِلْكَ الثِّمَارِ، فَتَدَلَّى إِلَيْهِ، فَيَأْكُلُ مِنْهَا مَا أَرَادَ، وَلَوْ أَنَّ حَوْرَاءَ مِنْ حُورِهِمْ بَرَزَتْ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، لَأَعْشَتْ ضَوْءَ الشَّمْسِ، وَلَافْتَتَنَ بِهَا أَهْلُ الْأَرْضِ» [مسند الإمام زيد ٢٧٥].

وقال علي عليه السلام: (بَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللهِ فِي دَارِهِ، رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً، وَصَانَ أَجْسَادَهَمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً).

ثم بين تعالى أن هذه الخيرية لمن اتصف بصفات:

الأولى: الإيمان.

الثانية: أن يكون من المتوكلين على فضل الله، مفوض أمره إليه دون خلقه.

الثالثة: أن يكون من المجتنبين لكبائر الإثم والفواحش.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من مسند الإمام زيد ومن الأربعين العلوية وغيرها، تمت.

سُئِلَ عَلِيٌّ عليه السلام: مَا الْكَبَائِرُ؟ فَقَالَ: (قَتْلُ النَّفسِ الْمُؤْمِنَةِ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ) [مسند الإمام زيد ٩٠- أمالي أحمد بن عيسى] انتهى. ومن الكبائر ما توعد الله عليه بالنار، والفواحش ما تزايد قبحه كالزنا.

الرابعة: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي يتجاوزون؛ لأن الغضب على طبع النار واستيلاؤه شديد، ومقاومته صعبة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَا تَعُدُّونَ الصَّرْعَةَ فِيمَا بَيْنَكُمْ؟ قَالُوا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجُلُ، قَالَ: لَا؛ وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)) [تيسير المطالب ٥٥٩].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ رَدَّ غَضَبَهُ دَفَعَ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ)) [تيسير المطالب ٥٥٩].

الخامسة: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾ المراد تمام الانقياد لما دعا إليه من الدين.

السادسة: قوله: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

السابعة: قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُم﴾ قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ)) [تيسير المطالب ٤٦٠ - الاعتبار ٢٩٦ - نهج البلاغة].

وقال علي عليه السلام: (مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا، وَمَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَأ، فَكُنْ مِنَ الَّذِينَ لَا يَعْجَلُونَ قَبْلَ الْمُشَاوَرَةِ).

الثامنة: قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي في طاعة الله.

وفي أمالي المرشد بالله: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِي صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ: ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ

أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ؛ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضًا، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ يَقْضِيهَا لَهُ؛ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ))[الأمالي الخميسية ٢/٢٤٥].

التاسعة: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ فإذا أصابهم ظلم في دينهم أو أموالهم أو دمائهم لم يتركوا النصرة حتى يُثبتوا الحق ويزيلوا الباطل، ولم يذلوا أنفسهم للبغاة الظلمة.

قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾ فله المكافأة إلا فيما حَرَّم الشرعُ، كفاحشة يأتيها فاسق في حرمة مؤمنٍ، إلا أن العفو وترك المكافأة وإصلاح الود بينه وبين المعفوِّ عنه أفضل؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ وهذه عِدَةٌ مُبهمة لا يقاس أمرها في العظم، أي فله من جزيل الثواب ما لا يبلغه وصفُ واصفٍ.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بل يبغضهم وهم البادئين، وفيه إشارة إلى أنَّ الانتصار لا يُؤْمَنُ فيه الاعتداء، خاصةً حال الغضب، ثم ذكر المنتصر فقال: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي يفعل به مثل ما فعل به ظالمه، فالمنتصرون ما عليهم من سبيل، أي من طريق للعقوبة ولا للذم، إنما السبيل على الذين يبدأون بالظلم ويبغون في الأرض بالتكبر فيها والفساد بغير الحق، أي بالمعاصي، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ شديد، ثم لما كان الصبر والعفو أفضل وأحسن أكد بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ وقوله: ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ وقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ أي على الظلم والأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ أي عفى ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله، وقوله:

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ أي معزوماتها ومقطوعاتها التي قطع بحسنها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٠-١٢] أي ما المؤمنون إلا إخوة في الدين.

[الحب في الله والمخوة في الدين]

وعنه ﷺ ((يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَّلَ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ فِيَّ وَيَتَبَاذَلُونَ فِيَّ وَيَتَزَاوَرُونَ فِيَّ)) [تيسير المطالب ٤٥٣].

وقال ﷺ: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد] ((ذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَحَبَّ أَهْلَ بَيْتِي صَادِقاً غَيْرَ كَاذِبٍ وَأَحَبَّ الْمُؤْمِنِينَ شَاهِداً وَغَائِباً أَلَا بِذِكْرِ اللهِ فَتَحَابُّوا)) [تيسير المطالب ٤٥٦].

وقال ﷺ: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَخْذُلُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ فِي مُصِيبَةٍ إِنْ نَزَلَتْ بِهِ)) [تيسير المطالب ٤٤٢].

وعنه ﷺ: ((مَنْ حَمَى مُؤْمِناً عَنْ مُنَافِقٍ أَرَاهُ قَالَ: بَعَثَ اللهُ مَلَكاً يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِماً بِشَيْءٍ يُرِيدُ بِهِ شَيْنَهُ حَبَسَهُ

اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجُ مِمَّا قَالَ)) [تيسير المطالب ٤٤٥].

وعنه ﷺ: ((إِنَّ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ تَعَالَى لَعَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، عَلَى رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ غُرْفَةً يُضِيءُ حُسْنُهُنَّ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تضيء الشَّمْسُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: انْطَلِقُوا بِنَا نَنْظُرُ إِلَى الْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ، فَإِذَا أَشْرَفُوا عَلَيْهِمْ؛ أَضَاءَ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ خُضْرٌ مِنْ سُنْدُسٍ، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ مَكْتُوبٌ عَلَى جِبَاهِهِمْ: هَؤُلَاءِ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)). [مسند الإمام زيد ٢٧٧]

وفي أمالي المرشد قال ﷺ: ((مَنْزِلَةُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْمُؤْمِنِ مَنْزِلَةُ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، مَتَى اشْتَكَى الْجَسَدُ اشْتَكَى لَهُ الرَّأْسُ، وَمَتَى اشْتَكَى الرَّأْسُ؛ اشْتَكَى سَائِرُ الْجَسَدِ)) [الأمالي الخميسية ٢/ ١٨٤].

وفيها قال ﷺ: ((مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَإِنَّمَا يُكْرِمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ)) [الأمالي الخميسية ٢/ ٢٤٦].

وفيها قال ﷺ: ((لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابرُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ)) [الأحكام ٤١٣/٢ - تيسير المطالب ٥٤٧ - الأمالي الخميسية ١٨٥/٢].

وفيها قال ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)) [الأمالي الخميسية ١٨٨/٢].

وفيها قال ﷺ: ((لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) [الأمالي الخميسية ١٨٩/٢].

وفيها عنه ﷺ: ((مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ)) [الأمالي الخميسية

١٩٤/٢].

وفي المخوة في الله أخبار غير هذه.

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ أي إذا تنازعا، قيل: وخص الاثنان لأن أقل ما يقع الشقاق بين اثنين، فإذا لزمت المصالحة في الأقل كانت بين الأكثر ألزم لعظم الفساد فيه.

ثم قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ وهو الازدراء والسخرية والاحتقار، إذ من حق المخوة أن تحب للمؤمن ما تحب لنفسك عسىٰ أن يكونوا المسخور بهم خيراً منهم عند الله، والاعتبار بتطهير البواطن وخلوص الضمائر، ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾.

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي لا يلمز بعضكم بعضاً، واللمز الطعن والضرب باللسان، أي لا يطعن بعضكم علىٰ بعض، أي لا يَعِبْ بعضكم بعضاً.

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ﴾ أي تدّاعوا ﴿بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾ أي بلقب يكرهه المدعو به، ﴿بِئْسَ﴾ للذم ﴿ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ﴾ أي بئس السخرية واللمز والتنابز؛ لأنه فسق يستنكروه عادة بعد أن كان النابز والمنبوز مؤمناً، فشأن المؤمنين الحب والتوادد.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ عن هذه المناهي ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.

قال ﷺ: ((مَنِ اسْتَذَلَّ مُؤْمِناً أَوْ حَقَّرَهُ لِفَقْرِهِ أَوْ قِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ شَهَّرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَفْضَحُهُ)) [تيسير المطالب ٥٤٨ - صحيفة الرضا].

وقال ﷺ: ((يَقُولُ اللهُ: مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَرَزَ لِمُحَارَبَتِي)) [تيسير المطالب ٥٤٩ - ومثله في الأمالي الخميسية ٢٨٠/٢].

ويكفي في هذا أن رسول الله ﷺ: لعن آكل الربا ومؤكِّله وبائعه ومشتريه

وكاتبه وشاهديه، وأنه ﷺ خَصْمُ آكل الربا.

وقد قال ﷺ: ((مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الْاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ)) [تيسير المطالب ٥٥٠].

فلا قوة إلا بالله، لكن المرء يستعين على أداء حق المخوة وترك أذى المؤمن بالله فإنه خير معين، ويذكر ما ورد في ذلك، وأنه مجازى بعمله.

قال ﷺ: ((أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُجَازَى بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ)) [تيسير المطالب ٥٩٤ - الأمالي الخميسية ٤٠٧/٢].

ثم قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ لأن الظن هو السبب فيما تقدم، وهو ظن السوء بمن ظاهره الصلاح، ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وهو كل ظَنٍّ بلا أمارة صحيحة فيمن ظاهره الصلاح.

ولنذكر ما قال أمير المؤمنين لجمعه ما سبق وما سيأتي في معنى ذلك:

قال عليه السلام: (إِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مَنْ ذُنُوبِهِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ؟! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بَعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ، مِمَّا هُو أَعْظَمُ مِنْهُ، وَايْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ؛ لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ!

يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ[١] بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ؛ فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي، وَتُخْطِيءُ السِّهَامُ، وَيَحِيكُ الْكَلَامُ، وَبَاطِلُ ذلِكَ يَبُورُ، وَاللهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ، أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

فَسُئِلَ عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه، ثمّ قال: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ).

وقال عليه السلام: (قَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ)، (كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ)، (أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ)، (مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا فِيهِ ما لَا يَعْلَمُونَ).

وقال عليه السلام: (إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلَاحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُل لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خزْيَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ! وَإِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُل فَقَدْ غَرَّرَ!)[٢].

وقال: (اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ).

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ تماماً لما سبق لأنه تعالى لما قال: ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ فُهِمَ منه أن المعتبر اليقين، أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها بعد معرفتكم لوثيقة دينهم.

---

(١) في الأصل: عَبْد، والمثبت من الديباج والنهج، تمت.

(٢) أي حمل نفسه على الغرر وهو الخطأ. تمت أعلام.

وفي أمالي المرشد قال ﷺ: ((يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ؛ لَا تَذُمُّوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّ مَنْ طَلَبَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ هَتَكَ اللَّهُ سِتْرَهُ، وَأَبْدَى عَوْرَتَهُ وَلَوْ كَانَ فِي سِتْرِ بَيْتِهِ)) [الأمالي الخميسية ٢٩٦/٢].

وفيها قال ﷺ: ((يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ: لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ)) [الأمالي الخميسية ٢٩٧/٢].

وفيها قال ﷺ: ((مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) [الأمالي الخميسية ٢٩٧/٢].

وفيها قال ﷺ: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اللَّهُ عَلَيْهِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهَا عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا قَعَدَ قَوْمٌ فِي الْمَسْجِدِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)) [الأمالي الخميسية ٢٩٧/٢].

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه، وفي الآية تشديد في قبحها من حيث أسند الفعل إلى أحدٍ، فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ والمراد أن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها التمثيل بأكل لحم الأخ لأن ذلك أفظع من لحم غيره، ومنها أن جعل التمثيل بأكل لحمه ميتا.

وقوله تعالى: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، أي كما كرهت ذلك فاكره غِيبَةَ أخيك وهو حي.

وسأل رجل النَّبِيَّ ﷺ مَا الْغِيبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَقَالَ ﷺ: ((أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْمَرْءِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يَسْمَعَ)) قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَإِنْ كَانَ حَقًّا؟ فَقَالَ رسول الله: ((إِذَا قُلْتَ بَاطِلاً فَذَلِكَ الْبُهْتَانُ)) [تيسير المطالب ٥٥٣].

وعن النبي ﷺ: ((إِنَّ الْغِيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا)) قِيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: ((إِنَّ الرَّجُلَ يَزْنِي ثُمَّ يَتُوبُ فَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْغِيبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ)) [تيسير المطالب ٥٥٤].

وَقَالَ ﷺ لِلرَّجُلَيْنِ الَّذَيْنِ اغْتَابَا مَاعِزَ حِينَ رُجِمَ: فأَجَازَا بِجِيْفَةِ حِمَارٍ شَاغِرٍ بِرِجْلِهِ، فَقَالَ لَهُمَا: ((انْزِلَا فَأَصِيبَا مِنْ هَذَا الْحِمَارِ)) فَقَالَا: يَا رَسُوْلَ اللَّهِ؛ أَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ؟ فَقَالَ: ((لَمَا أَصَبْتُمَا مِنْ صَاحِبِكُمَا آنِفاً أَعْظَمُ مِنْ إِصَابَتِكُمَا مِنْ هَذِهِ الْجِيفَةِ، إِنَّهُ الآنَ لَيَتَقَمَّصُ فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ)) [الأحكام ٤٠٦/٢ - أمالي أحمد بن عيسى].

ثم قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢﴾، أي اتقوا عقابه باجتناب ما نُهيتم عنه، والندمِ على ما وجد منكم فإنه قابل توبة التائبين.

وقال ﷺ: ((كَفَّارَةُ الْاغْتِيَابِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنِ اغْتَبْتَهُ)) [تيسير المطالب ٥٥٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ١٩﴾[الذاريات:١٥-١٩].

﴿جَنَّٰتٍ﴾ أي بساتين وعيون أنهار ﴿ءَاخِذِينَ﴾ أي قابلين راضين بما أعطاهم في الجنة، وقال زيد بن علي: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ﴾ معناه الفرائض، إنهم كانوا قبل

دخولهم الجنة محسنين في الدنيا، ثم فسر الإحسان بقوله: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ أي بعضاً قليلاً ﴿مَا يَهۡجَعُونَ﴾ أي قليلا ما يرقدون ويعبدون الله أكثره، ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ وهو آخر الليل، وكان زين العابدين يستغفر الله تعالىٰ في قنوت الوتر سبعين مرة، ثم قرأ: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران].

وفي أمالي المرشد قال رسول الله ﷺ: ((يَا عَلِيُّ؛ عَلَيْكَ بِصَلَاةِ السَّحَرِ وَالِاسْتِغْفَارِ بِالْمَغْرِبِ، فَإِنَّ صَلَاةَ السَّحَرِ وَالِاسْتِغْفَارَ شَاهِدَانِ مِنْ شُهُودِ الرَّبِّ عَلَى خَلْقِهِ)) [الأمالي الخميسية ٢٨٧/١].

وفيها عنه ﷺ: ((تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ فيعْطَى، هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرَّجُ عَنْهُ، فَلَا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا زَانِيَةٍ تَسْعَى بِفَرْجِهَا، أَوْ عَشَّارٍ)) [الأمالي الخميسية ٢٨٦/١].

وفيها سئل ﷺ: أَيُّ اللَّيْلِ أَجْوَبُ دَعْوَةً؟ قَالَ: ((جَوْفُ اللَّيْلِ)) [الأمالي الخميسية ٢٨٥/١].

وفيها سئل ﷺ: لِمَ أَخَّرَ يَعْقُوبُ بَنِيهِ إِلَى السَّحَرِ؟ قَالَ: ((لِأَنَّ دُعَاءَ السَّحَرِ مُسْتَجَابٌ)) [الأمالي الخميسية ٢٧٧/١].

وقال علي عليه السلام: (وَايْمُ اللهِ؛ لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهِشُّ مَعَها إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً؛ وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِينُهَا مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا. أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رَعْيِهَا فَتَبْرُكَ؟ وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ؟ قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى[1] عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِم شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِم ذُنُوبُهُمْ).

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ﴾ أي نصيبٌ ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ الذي لا يسأل حياء وعفة.

وفي أمالي المرشد قال ﷺ: ((أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ)) [الأمالي الخميسية ٢٧٧/١].

قوله تعالى: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد:١٦] أي ألم يَحِنْ ﴿أَن تَخۡشَعَ﴾ أي تلين ﴿قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ وتذل من خشيته، وذكر الله: قيل مواعظه الذي في القرآن، وقيل: لذكرهم الله، أي يجب أن يورثهم الذكر خشوعاً ولا يكونوا كمن يذكره بالغفلة فلا يخشع قلبه، ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ وهو القرآن، ويصح أنه المراد بالذكر لجمعه الأمرين الذكر والنزول، وأن يُرادَ بذكر الله ذِكْرُ عقابه.

وفي أمالي المرشد عنه ﷺ: ((النَّاسُ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ: فَرَجُلٌ يَقْرَأُهُ بِلِسَانِهِ وَلَا يَسُوغُ بِهِ الْحَنْجَرَةَ فَهُوَ لَهُ إِصْرٌ وَعَذَابٌ وَعِقَابٌ، وَرَجُلٌ يَقْرَأُهُ فَخْرًا وَرِيَاءً لِيَأْكُلَ بِهِ فِي دُنْيَاهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَيْءٌ، وَرَجُلٌ يَأْخُذُهُ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ فَهُوَ لَهُ حُجَّةٌ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ)) [الأمالي الخميسية ١٣٦/١].

(١) أي النعاس. تمت، هامش الأصل.

قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾[1] [الحديد: ٢٠-٢٤].

المعنى: إن كل ما عدا الأعمال الصالحة فهو لعب ولهو.

والمقصود من الآية تحقير حال الدنيا وتعظيم حال الآخرة، فقال: ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ ولا شك أن هذه الأشياء حقيرة، وأما الآخرة فهي عذاب شديد ورضوان الله على سبيل الدوام وذلك عظيم، فوصفها سبحانه بأوصاف:

أولها: ﴿لَعِبٌ﴾ وهو فعل الصبيان الذين يُتْعِبون أنفسهم، ثم إن تلك المتاعب تنقضي من غير فائدة.

ثانيها: ﴿لَهْوٌ﴾ وهو فعل الشباب، والغالب أن بعد انقضائها لا تبقى إلا

(١) هي قراءة نافع وابن عامر: ﴿فَإِنَّ اللهَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ بدون الضمير (هو) وقرأ الباقون: ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

الحسرة، وذلك أن العاقل بعد انقضائها يرى المال ذاهباً والعمر ذاهباً واللذة منقضية والنفس ازدادت شوقاً إليها مع فقدانها فيكون المضار مجتمعه.

وثالثها: أنها ﴿زِينَةٌ﴾ وهذه من دأب النساء.

ورابعها: ﴿تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ بالصفات الفانية.

وخامسها: ﴿تَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي الاشتغال فيها بذلك، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة.

فلا وجه يبتغيه أهل الدنيا يخرج عن هذه الأقسام.

وبَيَّنَ أن حالها إذا لم يخل عن هذه الوجوه يجب أن يعدل عنها إلى ما يؤدي إلى عمارة الآخرة، ثم ضرب الله مثل الحياة الدنيا، فقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ أي مطر ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي الزُّرَّاعَ ﴿نَبَاتُهُ﴾ الناشئ عنه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ تنقلب خضرته صفرة عند يبسه ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ فتاتاً أسود لشدة يبسه يضمحل بالرياح، كذلك الإنسان يهرم ثم يموت، ويترك ما كان حسن في عينه من الدنيا.

ثم إنه تعالى ذكر بعده حال الآخرة فقال: ﴿وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن آثر عليها الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لمن آثر الآخرة، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ أي الانتفاع مغتر وهو انتفاع يسيرٌ كعُجالَة الراكب وهو ما يتعجل من تُمَيْراتٍ، أي ما هي في جنب الآخرة إلا كذلك لمن أقبل عليها وأعرض عن طلب الآخرة، أما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله فنعم المتاع.

قال علي عليه السلام في صفة الدنيا: (مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ! وَآخِرُهَا فَنَاءٌ! فِي

حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ. مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ).

وقال عليه السلام: (أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ، لَا تَعْدُو- إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا والرضى بِهَا - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف:٤٥].

لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً، وَلَمْ يَلْقَ منْ سَرَّائِهَا بَطْناً إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ؛ إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ! وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى! لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً! وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ! غَرَّارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى.

مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ! وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ. كُمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً!

سُلْطَانُهَا دُوَلٌ، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ ! حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بَعَرَضِ سُقْمٍ! مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ،

وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ.

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالاً، وَأَعَدَّ عَدِيداً، وَأَكْثَفَ جُنُوداً! تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ.

فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ؟ أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ؟ أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ، وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ.

هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ؟ أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ؟ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ؟ أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ؟

أَفَهَذِهِ تُؤْثِرُونَ؟ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا!

فَاعْلَمُوا ـ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا، وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوهَا فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلَا يَنَالُونَ مَنْدَبَةً، إِنْ جِيدُوا[1] لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا، جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ، اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً،

(١) أي مطروا، تمت، هامش الأصل.

وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ثم قال عليه السلام وقد سمع رجلاً يذم الدنيا: (أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، بِمَ تَذُمُّهَا؟ أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا، أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ، أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى، أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى؟ كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ، وَكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ! تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطِبَّاءَ، لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ، وَلَمْ تُسْعَفْ فِيهِ بِطِلْبَتِكَ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ! قَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ، وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ.

إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللهِ، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ.

فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا، فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلَائِهَا الْبِلَى، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ؟! رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ، وَابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ، ترغِيباً وَتَرْهِيباً، وَتَخْوِيفاً وَتَحْذِيراً، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ، وَحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَذَكَرُوا، وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا).

وقال عليه السلام: (إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَاجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وَابْنُوا لِلْخَرَابِ).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا فِتْنَةٌ تُنْتَظَرُ أَوْ كُلُّ مُحْزِنٍ» رواه في

أمالي المرشد[الأمالي الخميسية ٢/٢٣٧].

ثم قال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ أي بادروا وأسرعوا، كأنه تعالىٰ قال: لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما أنتم عليه، بل تكون مسابقتكم في طلب الآخرة.

قال عليه السلام: (لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللهَ).

وقوله: ﴿عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي لو وصلت إحداهما بالأخرىٰ، والعرض: السعة، ﴿أُعِدَّتۡ﴾ أي هُيِّئَتْ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ﴾ الموعود من المغفرة والجنة ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالجدب والغلاء ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ كالأمراض والمصائب والقتل والموت ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ أي اللوح المحفوظ أو في علم محفوظ، ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ أي نخلق الأرض والأنفس أو من قبل أن نخلق المصائب ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ أي هين لا يعجز عنه، بل هو عالم به وبغيره ثم علل ذلك وبين وجه الحكمة فيه فقال: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾ أي تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من الدنيا ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ من خيرها، فرح: بطر.

قال علي عليه السلام: (الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ: قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ فَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَىٰ الْمَاضِي، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي،

فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ)، انتهى. لأنه من علم أنَّ ما عنده مفقود لا محالة لم يشتد حزنه عند فقده لأنه وَطَّنَ نفسه على ذلك، وكذا من علم أن بعض الخير واصل إليه لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله، فينبغي الفرح عند التوفيق للطاعة والعصمة من المعصية.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ بل يبغض: ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي، ومعجب به، ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس، لأن من فرح بحظ من الدنيا وعَظُمَ في نفسه افتخر على الناس، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ﴾، كأنه قال لا يحب المختال ولا يحب الذين يبخلون؛ إذ لحبه ما أوتي وعزته عنده يبخل به، ولا يكفيهم أنهم يبخلون به، بل يأمرون الناس بالبخل به، وكل ذا مُنْتِجُهُ فرحهم به.

قال علي عليه السلام: (الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِئِ الْعُيُوبِ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ).

ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي يعرض عن أوامر الله ونواهيه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عنه وعن غيره ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ أي المستوجب للحمد أو الحميد لأوليائه.

فاعلم أن إمعانك النظر في هذه الآية والعمل بها يقودك إلى رضا الرحمن، والمجاورة له في الجنان، وبذلك تنجو من النيران فاتعظ بها، والزم بها.

قال علي عليه السلام: (إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، وَنَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ، وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ.

فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ، وَأَنْفُسُنَا نَصْبُ الْحُتُوفِ، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ؟! وَهذَا

اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً إِلَّا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا، وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا).

قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾﴾[المعارج:١٩-٢٩]، ... إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج:٣٢-٣٥].

﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ بني وفطر على الضعف، ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي أصابه جزع لضعف بنيته، وإذا مسه الرخاء والنعمة والسرور فهو مانع لخيره، قليل الإنفاق في مرضات ربه، ثم استثنى سبحانه من الذين نسب إليهم هذا الخير أَهْلَ التقى والدين والهدى بقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ أي المؤمنين الذين هم على صلاتهم مواظبون، والحق المعلوم: الزكاة، ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ وهو الطالب، ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ المتعفف عن السؤال، فيُحْرَمُ لِقِلَّةِ طلبه، ويوم الدين: هو يوم القيامة، و ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ أي خائفون وجلون، إنَّ عذاب ربهم غير مأمون نزوله على أهله.

وفي أمالي المرشد عنه ﷺ: ((التَّوْحِيدُ ثَمَنُ الْجَنَّةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَفَاءُ شُكْرِ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَخَشْيَةُ اللَّهِ مِفْتَاحُ كُلِّ حِكْمَةٍ، وَالْإِخْلَاصُ مِلَاكُ كُلِّ طَاعَةٍ)) [الأمالي الخميسية ٥٥/١].

وفيها عن علي عليه السلام: (كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) قَالَ: (أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَشْيَةً) [الأمالي الخميسية ٦٤/١].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ لا يجعلونها إلا في المواضع التي أحلها الله لهم من الأزواج وما ملكت أيمانهم فإنهم في ذلك غير ملومين، أي معاقبين، ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ من الاستمتاع بغير الحلال كاليد وغيرها مما يستمتع به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ أي المتجاوزون الحلال إلى الحرام، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ أي ما ائتمنوا عليه من أمر الدنيا والدين وما عوهدوا عليه ﴿رَٰعُونَ﴾ حافظون مؤدُّون، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾ يقيمونها ولا يكتمون، وكفى بقوله تعالى زجرا في الكتم: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٣] ومحافظتهم على صلواتهم بأن يؤدونها كاملة في أوقاتها، ثم أخبر سبحانه بما أعد لمن كان على هذه الحالات وكان من أهل هذه الصفات فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

قال علي عليه السلام: (مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمكْرُوبِ).

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات:٣٧-٤١].

﴿طَغَىٰ﴾ أي تجاوز الحد في ظلم نفسه بالمعاصي، ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ قدمها على الآخرة باتباع الشهوات، ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أي مأواه ومنزله ومحله.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُ اللهُ عِلْماً بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ؟ هَلْ

مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُ اللهُ هُدًى بِغَيْرِ هِدَايَةٍ؟ هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُذْهِبَ اللهُ عَنْهُ الْعَمَى وَيَجْعَلُهُ بَصِيراً؟ أَلَا إِنَّهُ مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا وَقَصَّرَ فِيهَا أَمَلَهُ أَعْطَاهُ اللهُ عِلْماً بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ وَهُدًى بِغَيْرِ هِدَايَةٍ، أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ رَغِبَ فِي الدُّنْيَا وَطَالَ فِيهَا أَمَلُهُ أَعْمَى اللهُ قَلْبَهُ عَلَى قَدْرِ رَغْبَتِهِ فِيهَا)) [تيسير المطالب ٤٩٦].

وقال علي عليه السلام: (طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ، أُولئِكَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَرْضَ اللهِ بِسَاطاً، وَتُرَابَهَا فِرَاشاً، وَمَاءَهَا طَهُوراً، وَجَعَلُوا الْقُرْآنَ شِعَاراً، وَالدُّعَاءَ دِثَاراً، وَقَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ) [تيسير المطالب ٤٩٦].

وفي أمالي المرشد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَشَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ)) [الأمالي الخميسية ٧٤/١].

وفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((يُؤْتَى بِصَاحِبِ الْقَلَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ مُقْفَلٌ عَلَيْهِ بِأَقْفَالٍ مِنْ نَارٍ فَيُنْظَرُ قَلَمُهُ فِيمَا أَجْرَاهُ، فَإِنْ كَانَ أَجْرَاهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ فُكَّ عَنْهُ التَّابُوتُ، وَإِنْ كَانَ أَجْرَاهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ هَوَى بِهِ التَّابُوتُ سَبْعِينَ خَرِيفًا حَتَّى بَارِئُ الْقَلَمِ وَلَائِقُ الدَّوَاةِ)) [الأمالي الخميسية ٧٤/١].

وقال علي عليه السلام: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ؛ فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ! قُلْعَتُهَا أَحْظَى مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا، وَبُلْغَتُهَا أَزْكَى مِنَ ثَرْوَتِهَا، حُكِمَ عَلَى مُكْثِرِيهَا بِالْفَاقَةِ، وَأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ، مَنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا أَعْقَبَتْ نَاظِرَيْهِ كَمَهاً، وَمَنِ اسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ بِهَا مَلَأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجاناً، لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَى سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ: هَمٌّ يَشْغَلُهُ، وَغَمٌّ يَحْزُنُهُ، كَذلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ فَيُلْقَى بِالْفَضاءِ، مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ، هَيِّناً عَلَى اللهِ

فَناؤُهُ، وَعَلَى الْإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ.

وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ الْاِعْتِبَارِ، وَيَقْتاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الْاِضْطِرَارِ، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ وَالْاتِّعَاظِ، إِنْ قِيلَ أَثْرَى قِيلَ أَكْدَى! وَإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ! هذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ).

قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾، أي موقفه الذي يقوم فيه العباد للحساب، ونهى النفس الأمارة عن الهوى المردي باتباع الشهوات ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

فالحاصل: أن المطيع في الجنة، والعاصي في النار.

وفي أمالي المؤيد بالله عنه ﷺ: ((لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ؛ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: [يَا رَبِّ وعِزَّتِكَ] لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّها بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: يَا رَبِّ؛ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: وَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، [فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا] فَقَالَ: [يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ] لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، [فَذَهَبَ] فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: يَا رَبِّ؛ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا)) [الاعتبار ٥٠٨].

وعنه ﷺ: ((مَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ لَهَى عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ تَرَقَّبَ الْمَوْتَ هَانَتْ عَلَيْهِ اللَّذَّاتُ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَاتُ)) [تيسير المطالب ٥٩٣ - الاعتبار ٤٨].

وعنه ﷺ: ((يَا عَلِيُّ [مَا مِنْ دَارٍ فِيهَا فَرْحَةٌ إِلَّا تَبِعَتْهَا تَرْحَةٌ، وَ] مَا مِنْ هَمٍّ إِلَّا وَلَهُ فَرَجٌ إِلَّا هَمَّ أَهْلِ النَّارِ، وَمَا مِنْ نَعِيمٍ إِلَّا وَلَهُ زَوَالٌ إِلَّا نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا سَرِيعاً، وَعَلَيْكَ بِصَنَائِعِ الْخَيْرِ فَإِنَّهَا

تَدْفَعُ مَصَارِعَ الشَّرِّ)) [تيسير المطالب ٥٩٩].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣].

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ أي الدهر أو آخر النهار أو صلاة العصر لفضلها، أقسم الله تعالى به ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي كل مكلف في خسر في تجارته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥﴾ [الزمر].

وهذه السورة فاجعة، وآياتها رائعة، حقيق لها أن تحترق لها الأفئدة بنيران الخوف الموقدة، وأن تصرف الهممَ إلى الخلوص من الخسران، والاستعانة على ذلك بالرحيم المنان، إذ قد حكم سبحانه على الكافة بالخسارة، والوقوع في الشقاوة، واستثنى من اتصف بأربع صفات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

وقد قال علي عليه السلام: (الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى الصَّبْرِ، والْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ، وَالْجِهَادِ ... الخبر)، وقد مضى.

وقال عليه السلام: (الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ)، وروي في أمالي المرشد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثله.

الثانية: قوله: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وهي الصلوات الخمس وكل عمل واجب.

الثالثة: قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾، أي بالأمر الثابت وهو الخير كله من توحيد الله

وطاعته واتباع كتبه ورسله وكل ما عدى الضلال، لقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:٣٢].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله عبادَه، وعلى ما ابتليوا به من أذى العباد.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَا حَقّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ)) [تيسير المطالب ٤٣٥ - مثله في الاعتبار ٤٤٥ - شفاء الأوام].

وقال علي عليه السلام: (يَا ابْنَ آدَمَ؛ كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ، وَاعْمَلْ فِي مَالِكَ مَا تُؤْثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ).

[وصية أمير المؤمنين لولده الحسن عليهما السلام]

هذا وأنا موصي نفسي وذريتي وقرابتي وكافة المؤمنين والمؤمنات، مَنْ في عصري ومن سيوجد من الجميع إلى يوم الدين بما تضمنه هذا الكتاب، وبما أوصى به أمير المؤمنين ولده الحسن سبط رسول رب العالمين صلوات الله عليهم أجمعين:

قال عليه السلام: (أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ ـ أَيْ بُنَيَّ ـ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالْاِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ عَزّ وَجَلَّ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ!

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ

قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ مَا فَعَلُوا، وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دَارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ؛ فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَخُضِ الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ، وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، وَأَكْثِرِ الْاسْتِخَارَةَ، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحاً، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

أَيْ بُنَيَّ؛ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً؛ بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقَصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

أَيْ بُنَيَّ؛ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَتَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ مُقْتَبَلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ. ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ فِيهِ الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هذِهِ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ؛ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهِ، وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلَقِ الْخُصُومَاتِ.

وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالْاسْتِعَانَةِ بِإِلَهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ.

فَإذا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ وَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ وَلَا مَنْ خَلَّطَ، وَالْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ.

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالْإِبْتِلَاءِ، وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا تعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عَلِمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذلِكَ!

فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ نَبِيُّنَا ﷺ فَارْضَ بِهِ رَائِداً، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ ـ وَإِنِ اجْتَهَدْتَ ـ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وصِفَاتِهِ، وَلكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ.

فَإِذَا عَرَفْتَ ذلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ

مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سَخَطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ.

يَا بُنَيَّ؛ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا.

وإِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذلِكَ أَلَماً، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ.

وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَىٰ مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَىٰ مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

يَا بُنَيَّ؛ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ. فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، وَلَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لَا غِنَىٰ بِكَ فِيهِ

عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ، وَقَدْرِ بَلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ، وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤوداً، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِن الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّئِ الْمنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بَالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاك، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، وَمَتَى شِئْتَ دَعَوْتَهُ فَلَبَّاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَك، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ

اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعَمِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسَأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ، وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالِ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكتَ نَفْسَكَ.

يَا بُنَيَّ، أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، فَاجْعَلْهُ أَمَامَكَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، وَنَعَتَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، وَاذْكُرِ الْآخِرَةَ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُزَهِّدُكَ فِي الدُّنْيَا وَيُصَغِّرُهَا عِنْدَكَ فَلَا تَرْكَنْ إِلَيْهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ بِوَادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلَا مُقِيمٌ

يُسِيمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلَامُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعَانُ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ!

وَاعْلَمْ، أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً.

فاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَذِنَ فِي خَرَابِ الدُّنْيَا وَعِمَارَةِ الْآخِرَةِ فَإِنْ زَهِدْتَ فِيمَا زَهَّدْتُكَ فِيهِ وَرَغِبْتَ فِيمَا رَغَّبْتُكَ فِيهِ فَأَهْلُ ذَلِكَ أَنْتَ، وَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ نُصْحِي فَاعْلَمْ يَقِيناً، أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ، فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوق، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُوم، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً. وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً. وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُوجَدُ إِلَّا بِشَرٍّ، ويُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ ؟!

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَسْتَ بَائِعاً شَيْئاً مِنْ دِينِكَ وَعِرْضِكَ بِثَمَنٍ وَإِنْ جَلَّ إِلَّا كُنْتَ مَغْبُوناً، وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبِنَ نَصِيبَهُ مِنَ اللهِ، خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ.

وَإِيَّاكَ وَمُقَارَبَةَ مَنْ تَرْهَبُهُ عَلَىٰ دِينِكَ وَعِرْضِكَ، تَبَاعَدْ مِنَ السُّلْطَانِ الْجَائِرِ، وَلَا تَأْمَنْ خِدَعَ الشَّيْطَانِ فَتَقُولُ: مَتَىٰ أَنْكَرْتُ [أَوْ عَلِمْتُ أَوْ تَشَفَّعْتُ أُجِرْتُ] فَإِنَّهُ هَكَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، إِنَّ أَهْلَ الْقِبْلَةِ أَيْقَنُوا بِالْمَعَادِ، وَلَوْ سُمْتَ أَحَدَهُمْ بَيْعَ آخِرَتِهِ بِدُنْيَاهُ لَمْ يَفْعَلْ، وَلَمْ يَطِبْ بِذَلِكَ نَفْساً، ثُمَّ قَدْ يَخْتُلُهُ الشَّيْطَانُ بِخِدَعِهِ وَمَكْرِهِ حَتَّىٰ يُورِّطَهُ فِي هَلَكَتِهِ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٍ حَقِيرٍ، وَيَنْقُلَهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُؤْيِسَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ فَيَجِدُ الرَّاحَةَ إِلَىٰ مَا يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ وَأَحْكَامَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ إِلَّا حُبَّ الدُّنْيَا وَقُرْبَ السَّلَاطِينِ وَخَالَفَتْكَ عَمَّا فِيهِ رُشْدُكَ فَأَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ فَإِنَّهُ لَا تُقْيَةَ لِلْمُلُوكِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَخْبَارِهِمْ وَلَا تَنْطِقْ بِأَسْرَارِهِمْ وَلَا تَدْخُلْ فَيمَا بَيْنَهُمْ، وَفِي الصَّمْتِ سَلَامَةٌ مِنَ النَّدَامَةِ، وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَاحْفَظْ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ، وَلَا تُحَدِّثَنَّ إِلَّا عَنْ ثِقَةٍ فَتَكُونَ كَذَّاباً، وَالْكَذِبُ ذُلٌّ، وَحُسْنُ التَّدْبِيرِ مَعَ الْكَفَافِ أَكْفَىٰ لَكَ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ الْإِسْرَافِ، وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَىٰ لِئَامِ النَّاسِ، وَالْخِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَىٰ مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ، وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ!

مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ، خَيْرُ حَظِّ الْمَرْءِ قَرِينٌ صَالِحٌ، قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، لَا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ سُوءُ الظَّنِّ، بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ! وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، الفَاحِشَةُ كَاسْمِهَا، التَّصَبُّرُ عَلَىٰ الْمَكْرُوهِ يَعْصِمُ الْقَلْبَ، رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً، [إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً] سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ، وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَىٰ مِنْ كَثِيرٍ! سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، رُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ.

إِيَّاكَ وَالاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى، وَفِي تَرْكِهَا خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْأُخْرَى، ذَكِّ قَلْبَكَ بِالْأَدَبِ كَمَا تُذَكَّى النَّارُ بِالْحَطَبِ، لَا تَكُنْ كَحَاطِبِ اللَّيْلِ، وَغُثَاءِ السَّيْلِ، كُفْرُ النِّعْمَةِ لُؤْمٌ، وَصُحْبَةِ الأَحْمَقِ شُؤْمٌ، الْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ، بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً، مِنَ الْحَزْمِ الْعَزْمُ، سَبَبُ الْحِرْمَانِ التَّوَانِي، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ، مِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، رُبَّ أَدِيبٍ مُفَرِّطٍ، رُبَّ سَاعٍ مُضَيِّعٍ، التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ، لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ، وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ، لَا تَبْنِيَنَّ فِي أَمْرٍ عَلَى غُرُورٍ، مَنْ حَلُمَ سَادَ، وَمَنْ تَفَقَّهَ ازْدَادَ، لِقَاءُ أَهْلِ الْخَيْرَاتِ عِمَارَةُ الْقُلُوبِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ، إِنْ قَارَفْتَ سَيِّئَةً فَعَجِّلْ لَهَا تَوْبَةً، لَا تَخُنْ مَنِ ائْتَمَنَكَ وَإِنْ خَانَكَ، وَلَا تُذِعْ سِرَّهُ وَإِنْ أَذَاعَ سِرَّكَ، لَا تَسْتَوْثِقُ بِثِقَةٍ رَجَاءً، لَا تُخَاطِرْ بِشَيءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ، جُدْ بِالْفَضْلِ وَأَحْسِنِ الْبَذْلَ، قُلْ لِلنَّاسِ حُسْناً، قُلْ مَا تَسْلَمُ مِمَّنْ تَسَرَّعْتَ إِلَيْهِ، أَوْ تَنْدَمَ إِنْ تَفَضَّلْتَ عَلَيْهِ، مِنَ الْكَرَمِ الْوَفَاءُ بِالذِّمَمِ، الصُّدُودُ آيَةُ الْمَقْتِ، الْإِنْقِبَاضُ يَجْلِبُ الْعَدَاوَةَ وَالْخِلْطَةُ تُورِثُ الْمَحَبَّةَ، كَثْرَةُ الْعِلَلِ آيَةُ الْمَلَلِ، مِنَ الْكَرَمِ صِلَةُ الرَّحِمِ، وَالتَّجَنِّي وَجْهُ الْقَطِيعَةِ.

احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ، لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَلَا تَعْمَلْ بِالْخَدِيعَةِ فَإِنَّهَا خُلُقُ اللِّئَامِ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَمْ قَبِيحَةً، لَا تَصْحَبَنَّ الْإِخْوَانَ بِالْإِدْهَانِ، صَاحِبْهُمْ

بِالتَّذْكِيرِ عِنْدَ الزَّلَّةِ، وَامْحَضْهُمْ الْمَوَدَّةَ عِنْدَ الْهِبَةِ، كَمْ أَخو ثقة بعث العتق بخفة، سَاعِدْ أَخَاكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَزُلْ مَعَهُ عَلَى الْحَقِّ حَيْثُ زَالَ، جُدْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ، فَتَسْخِيْرُ الْعَدُوِّ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ أَحْلَى مِنَ الظَّفَرَيْنِ، بَصِّرْ صَدِيقَكَ، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً، وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذلِكَ يَوْماً مَا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، مَا أَقْبَحَ الْقَطِيعَةَ بَعْدَ الصِّلَةَ، وَالْجَفَاءَ بَعْدَ الْإِحْسَانِ، وَالْعَدَاوَةَ بَعْدَ الْمَوَدَّةِ، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلَا يكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ، وَلَا عَلَى الْبُخْلِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْجُودِ، وَلَا عَلَى التَّقْصِيرِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى التَّفَضُّلِ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، وَالزَّمَانُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، فَمَا كَانَ لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى دَفْعِهِ بِقُوَّتِكِ، مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى! مَا أَقْبَحَ الْمَعْصِيَةَ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِرُّهُ عِنْدَكَ، إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ، وَإِنْ جَزِعْتَ عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ.

اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهٌ، وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْأَدَبِ، وَالْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا

بِالضَّرْبِ.

اعْرِفْ حَقَّ مَنْ عُرْفُهُ لَكَ، رَفِيعاً كَانَ أَوْ وَضِيعاً، اسْتَعِدْ لِلْمَوْتِ، وَاطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ.

مَنْ تَعَدَّىٰ الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَىٰ قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَىٰ لَهُ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ الْأَعْمَىٰ رُشْدَهُ.

أَخِّرِ الشَّرَّ، فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، قَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ، نِعْمَ حَظُّ الْمَرْءِ الْقُنُوعُ، شَرُّ أَخْلَاقِ الْمَرْءِ الْحَسَدُ، فِي الْقَنُوطِ التَّفْرِيطُ، الشُّحُّ يَجْلِبُ الْمَلَامَةَ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ، وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ، وَالْهَوَىٰ شَرِيكُ الْعَمَىٰ، مِنَ التَّوْفِيقِ الْوُقُوفُ عِنْدَ الْحِيرَةِ، طَارِدُ الْهَمِّ الْيَقِينُ، رُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ، أَوْثَقُ الْعُرَىٰ التَّقْوَىٰ، مَنْ اعْتَبَكَ فَهُوَ مِنْكَ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكاً، قَطِيعَةُ الْجَاهِلِ مَصْلَحَةٌ، بِرُّ الْوَالِدَيْنِ كَرَمٌ، الْمَخَافَةُ شَرٌّ لِجَافٍ، لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ تُعْقِبُ نَدَماً، الْعَاقِلُ مَنْ وَعَظَتْهُ التَّجَارُبُ، رَسُولُكَ تُرْجُمَانُ عَقْلِكَ، وَلَيْسَ مَعَ الْاخْتِلَافِ ائْتِلَافٌ، يُنْبِي عَنْ كُلِّ أَمْرٍ دَخِيلَتُهُ، رُبَّ بَاحِثٍ عَنْ حَتْفِهِ، رُبَّ هَازِلٍ عَادَ جِدًّا، مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَىٰ أَصَابَ ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ، خَيْرُ أَهْلِكَ مَنْ كَفَاكَ، اعْتَذَرَ مَنِ اجْتَهَدَ، رَأْسُ الدِّينِ صِحَّةُ الْيَقِينِ، تَمَامُ الْإِخْلَاصِ تَجَنُّبُ الْمَعَاصِي، خَيْرُ الْمَقَالِ مَا صَدَّقَتْهُ الْفِعَالُ، السَّلَامَةُ مَعَ الْاِسْتِقَامَةِ، الدُّعَاءُ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ، سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ، احتمل ممن أدل عليك، وَاقْبَلْ عُذْرَ مَنِ

اعْتَذَرَ إِلَيْكَ، أَطِعْ أَخَاكَ وَإِنْ عَصَاكَ، خُذِ الْعَفْوَ مِنَ النَّاسِ، إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً، وَإِنْ حَكَيْتَ ذلِكَ عَنْ غَيْرِكَ، عَوِّدْ نَفْسَكَ السَّمَاحَ، تَخَيَّرْ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنَهُ، فَإِنَّ الْخَيْرَ عَادَةٌ.

وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ، وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ.

وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ خَيْرٌ مِنَ الْإِرْتِيَابِ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَضَرَّ مِنْ دُخُولِ مَنْ لَا تَأْمَنُهُ عَلَيْهِنَّ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ.

وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ.

وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعْهَا أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا.

وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ.

أَقْلِلِ الغَضَبَ وَلَا تُكْثِرِ الْعِتَابَ فِي غَيْرِ ذَنْبٍ، أَحْسِنْ لِلْمَمَالِيكِ الْأَدَبَ، وَأَحْسِنِ الْعَفْوَ عَنْهُمْ إِذَا أَجْرَمُوا مَعَ الْعَدْلِ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ مِنَ الضَّرْبِ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ، وَخَفِّفِ الْقِصَاصَ حِينَ لَا مَنَاصَ، وَاجْعَلْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ.

وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، فَإِنَّكَ بِهِمْ تَصُولُ وَبِهِمْ تَطُولُ، وَهُمُ الْعِدَّةُ عِنْدَ الشِّدَّةِ، أَكْرِمْ كَرِيمَهُمْ، وَعُدْ سَقِيمَهُمْ، وَأَشْرِكْهُمْ فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَى أَمْرِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّهُ أَكْرَمُ مُعِينٍ، [أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ،

وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، والسَّلَامُ]).

ونسأل الله العظيم أن يصلي على محمد وآله، وأن يغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، وأن لا يجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا.

والحمد لله رب العالمين وصلى جل وعلا على خاتم النبيين وعلى آله الأكرمين وعلى الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين.

قال في الأم: انتهى تلخيص هذا بعد صلاة الجمعة لعله ثالث وعشرين شهر الله المحرم سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف هجرية، وكان ابتداء تأليف الأنوار يوم الغدير يوم الجمعة سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف هجرية، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد الأمين وآله الأكرمين، آمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تم بحمد الله